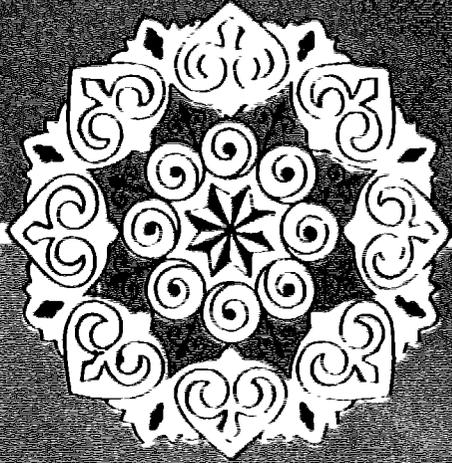


دراسات الإسلام

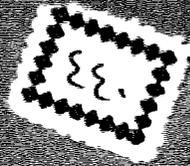


أحاديث إلى الشباب

(عزائم النبوة والتقى والحياء)

في ضوء الإسلام

للأستاذ أنور أحمد شادي



بيروت - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - القاهرة

العدد ١١٥

دراسات في الإسلام

يصدرها

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة

مكتبة
الذكاوة للتأليف والترجمة
في دار ابن كثير
بدمشق

٨٩٧٥

أحاديث إلى الشباب

(عز الفعنة والنفس والحياة)

في ضوء الإسلام

للأستاذ أنور الجندى

رقم المكتبة

٦٦٠

العدد ١٦٥
السنة الرابعة عشرة
١٥ من ذي الحجة ١٣٩٤ هـ
٢٩ من ديسمبر ١٩٧٤ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عوليفة

اهداءات ٢٠٠١
الدكتور / الفطحي محمد طوبية
القاهرة



الله

جل جلاله

مكتبة الأمانة الإسلامية

مكتبة الأمانة الإسلامية

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى
من المسلمين » •

(سورة فصلت)

أصل كل نهضة

نقطة البدء في كل نهضة هي العقيدة : والاسلام وحده هو العقيدة القادرة على اطلاق طاقات هذه الأمة ، والاسلام منهج حياة وليس نظرية ، وفرق بينهما ، فالنهج اصل ثابت متصل بالكون والحياة والانسان من خلال الوحي والفطرة . اما النظريات فهي من صناعة العقل البشرى .

ولقد ذاعت نظريات كثيرة ولعت ، ولكنها عجزت عن العطاء الحقيقي للنفس الانسانية والعقل البشرى في آن ، ولذلك فهي سرعان ما تصدعت وبان بمرور الزمن فسادها ، وقد حاول أهلها ادخال اصلاحات وتعديلات كثيرة عليها . وبذلك انكشف للناس الفارق الكبير بينها وبين مناهج القرآن الثابتة ثبوت الفطرة المرنة مرونة حركة الانسان ، القدرة على اعطائه مطامحه البشرية وأشواقه الروحية في آن ، فهي قائمة على أساس الفطرة الانسانية التي لا تتغير في أصولها ، والتي تستطيع استيعاب كل تغير وتطور وتجديد ، دون أن تفقد أصالتها وضوابطها .

ولقد جعل الاسلام قاعدته الأصلية ، الاعتقاد بوجود الله الواحد الأحد الذي لا يتغير بتغير الزمان أو المكان ، وهو

الحقيقة الواحدة التي لا يأتيها الباطل من قريب ولا بعيد مهما
تحداها الناس بالانكار والنفى •

لقد دعا الاسلام الى وحدانية منزهة لاشائبة فيها ولم يلجأ
في اثبات هذه الدعوة الى خوارق العادات أو القوارع التي
تخرس الألسنة ، بل الى الدليل والبرهان عن طريق العقل
والوجدان والنظر في الكون •

الدين فطرة انسانية أصيلة :

ليس الدين مرحلة في حياة الأمم : وليس صحيحا أن الأمم
قد تجاوزت مرحلة الدين أو أن الدور الذي احتاجت فيه
البشرية الى الدين قد انتهى ، والواقع أن الدين فطرة انسانية
أصيلة وليس مرحلة في حياة الأمم أو في حياة البشرية ، بل هو
كيان عضوي في تركيب الانسان ، متصل بعقله وروحه وحياته ،
لا سبيل الى انفصاله أو انتزاعه ، فاذا جاءت موجة من موجات
الفكر البشري لتضع بين النفس الانسانية وبين الدين ستارا
أو حجابا ، وجدت البشرية نفسها في دوامة من التمزق والضياع
والاحساس العميق بغية شيء لا سبيل الى الحياة بدونه •

وانذاك فلن القائمين بأن الدين ليس مصدرا من مصادر
التوجيه ينكرون الفطرة ويتجاهلون شطرا كبيرا من طبائع
الأنبياء والنفوس •

والبشرية لم تكن يوما من الأيام قادرة على حماية نفسها

من المطامع والحروب والصراع — حتى بعد أن أحرزت مفاتيح العلوم وعرفت سنن الطبيعة ، بل لعلها لم تكن في يوم من الأيام أشد منها في هذه الأيام صراعا واندفاعا واستعدادا ، والإنسان هو الإنسان مهما تقدم في مضمار السبق العلمي ، وما لم تتقدم مفاهيمه النفسية والروحية فتعلو به عن الهوى والمادة والمطامع ، فهو يستعمل كل ما أحرزه من تقدم في سبيل الشر ولن يكون الإنسان آمنا على نفسه ومجتمعه إلا إذا كان مؤمنا بالله ملتزما منهاجه متحركا داخل إطاره .

الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ أُسْلُوبُ حَيَاةٍ

ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدينين به شعورا بالعزة أو الكرامة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع ، ذلك لأن الاسلام ليس ديناً تعبدياً فقط ولكنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً ، فهو يسمو على أن يكون مجرد فكرة يناقشها أو نظرية يتأملها •

وما من دين استطاع أن يقدم للمؤمنين به سكينه النفس وطمأنينه القلب ، ويحجب عنه الانحراف والاضطراب والتمزق والاضياح وتلك أبلغ مطالب الانسان وأقوى تطلعاته ، بل أن رفاهية الانسان الحققة هى فى ايمانه وسكينته وطمأنينه قلبه ، وكرامته المثلى فى أن يكون زاكياً فوق مطالب الأديان ودوافع الغرائز ، واذا كان هذا هدف الحضارة الحققة وأمل البشرية الأكبر فإنه لن يتحقق الا بالدين والايمان واليقين ، وكل سبب من أسباب الطمأنينه والأمن والرضى منترع من الانسان باقتراع نفسه من الدين •

ولقد آن للبشرية أن تعلم أن هذه المناهج المبنوثة لن تحقق لها شيئاً مما ترجو من سكينه النفس أو سعادة الحياة ، ولاسبيل

لها الى هذا الهدف وهو أعلى الأهداف الا بأن تلتمس المنهج
الرباني الذي رسمه لها الله ، صانع الانسان والحياة فهو وحده
السييل الذي سيحقق لها طمأنينة القلب وهناءة الحياة ولتجرب
كما جربت .

دور الايمان في حياة الانسان :

ليس غير الايمان بالله بلسم للروح ، أو شفاء للمصدر ،
أو ترياق لأمراض القلق والحيرة والشك والارتياب ، وكيف
يمكن أن يكون الانسان قادرا على مواجهة شدائد الحياة
بشجاعة وصبر دون الايمان بالله .

عندما يتمثل الانسان ربه الخالق المدبر المحيط بالأمر كله
تمتلئ نفسه بالاطمئنان لكل ما يقع في حياته فلا يستسلم
للإيأس ، ومن ثم يتجدد أمله كلما أخفق لجولة أخرى فيها
النصر والفوز ، فاذا عرف أن الله لا يضيع أجر من أحسن
عملا ، قوى أمله المتجدد وزاد في كفاحه وسعد .

والمسلم دائما في موقف الرضا والأمل في حالة العسر
واليسر ، ولا تذهب نفسه مذهب التشاؤم ، لأنه يؤمن برحمة
الله أولا وعدله ثانيا ، وانه لا تزر وازرة وزر أخرى ، أما في
الغرب فان التشاؤم ظاهرة أساسية للنفس مصدرها عقيدة
الخطيئة الأصلية وعدم اقتناع العقل وقبول الفطرة لوراثته
البشر خطيئة لم يرتكبوها ، ولقد ساد الغرب طابع الوجدان
المنشائم نتيجة هذه القضية وظهرت آثارها القوية على الآداب
والفنون والفلسفة والأخلاق ، وهي التي وصلت بهم الى فكرة
اللامعقول والعبث ، وتعد الوجودية أعلى مراتب التشاؤم .

القيم التي فرضها الاسلام :

ان الاسلام فوق كونه ديناً كسائر الأديان فهو حركة اجتماعية واسعة تشمل الاعتقاد والمجتمع والأخلاق والدولة ، ان ميزة الاسلام أن نظرتة كلية شاملة فهو لم يجزئء الحياة ، بل نظر إليها نظرة كاملة على أنها متصلة الأواحد مترابطة الأطراف ، والقرآن كتاب الله ومصدر النظرة الاسلامية .

ولقد جعل الاسلام للقيم سلماً وأوليات وحصصاً ، وجعل ترتيب هذه القيم حسب أهميتها ، هذه الأوليات والنسب تظل ثابتة ، فإذا تغيرت فسدت المجتمعات وأصابها الاضطراب فلقد جعل التوحيد والعمل والجهاد والزكاة والعبادة في مقدمة سلم القيم ، وجعل للجسم والمال والزينة والمتاع حصصاً أيضاً فلم يغفلها ولكنه وضع لها مقاديرها وضوابطها . فإذا ذهبنا تقدم الرغبات والأهواء ضعفت نسبة الأعمال الكبرى وقل قدرها ، وهنا تحدث الأزمات أزمات النفس والمجتمع ، فإذا عاد المسلمون الى سلم القيم مرة أخرى عادت اليهم القوة والكفاءة .

وان من أبرز حقائق الاسلام أنه لا يفرق بين الناس على أساس العنصر أو العرق ، ويقر التفاضل على أساس العمل والسلوك ، ولا يعرف الاسلام الرهبانية أو الترف ولا يرفع الانسان عن مستواه البشرى ويفرق بين الألوهية والنبوة وهو يربط بين الدين والدولة ، والدين والعلم ، والدين والأخلاق .

ان أخطر ما يواجه الفكر الاسلامي هو محاولة تجزئته

أو فرض مفهوم الانشطارية الغربي عليه ، ولقد جاء الاسلام
حكما على المدنيات والأمم ولم يجيء محكوما ، وهو ليس مطية
للدعوات والمذاهب بل له مقوماته الأصيلة وأحكامه المستقلة
وذاتيته الخاصة .

موقف الاسلام من القوتين (المادية ، والروحية) :

غالت بعض الأديان في تقدير القوة المادية ، وغالت بعض
الأديان في تقدير القوة الروحية ، أما الاسلام فقد وازن بين
الفلحيتين على أساس أن كلا منهما عنصر أساسي في الطبيعة
البشرية لاغنى عنه لتقدم الانسان ولقد تقرر أن القوة المادية
أو القوة الروحية ليست خيرا أو شرا في حد ذاتها بل في طريقة
استعمال الانسان لها . وتأثيرها النهائي انما يتحدد بالهدف الذي
تستخدم له فاذا ما استخدمت لاسعاد الناس وتقدمهم ماديا
وروحيا كان رحمة ، واذا استخدمت لاستعباد الناس واذلالهم
كانت نقمة ، وهنا تأتي أهمية الدور الذي يؤديه الدين حيث
تكون مهمته توجيه الطاقات كلها الى الخير والى الاخاء
الانسانى .

كيف علاج الاسلام الانسان :

وقف الاسلام أمام الانسان موقفا متميزا ، مخالفا لموقف
الفلسفات والعقائد ، وقد أقام الاسلام هذا الموقف على

أساس تكريم الانسان بوصفه موضع الاستخلاف في الأرض والنظر اليه من خلال طبيعته الأصلية الجامعة بين الروح والجسم ، والعقل والقلب ، وبوصفه كيانا متكاملًا ، وبذلك أقر برغباته المادية كلها وأباحها له دون أن يقيدوا الا بضوابط قصد بها حماية الانسان نفسه من الانهيار والتدمير ، وحتى يكون قادرا على أداء رسالته ومواجهة تحديات عصره دون أن يضعف أو يتحطم .

وجعل سعيه في الحياة الدنيا مرتبطا بالجزاء في الآخرة ، وأعطاه المسئولية الفردية والالتزام الخلقى لكي يواجه العالم من منطلق الكرامة ، وجعل مسيرته كلها خالصة لله . فالانسان في مفهوم الاسلام ، روح وعقل وجسد ونفس ، وكل التفسيرات التي تتناوله من جانب واحد هو جانب الحسد كالمادية الغربية ، أو جانب الروح كالمذاهب الشرقية كلاهما خاطيء ، كذلك تفسير حياته وتاريخه من مصدر واحد هو الطعام أو الجنس أو البيئة هو تفسير انشطاري فاسد لا يصل الى الحقيقة ، وليس هناك منهج متكامل لفهم الانسان في العبادة كلها سوى منهج الاسلام والانسان في مفهوم الانسان ثابت الجوهر متغير الصورة ، ولا يرفع الاسلام الانسان عن مستواه كمستخلف في الأرض ولا يخفضه عن مكانته ، فالكائن الانساني كل متنسق في حياته بأبعادها الثلاثة : الجسدية والنفسية والاجتماعية في كل أزمة يصاب بها لابد أن تكون النظرة شاملة لهذه الجوانب ، دون فصل بينها .

الفكر الذى يبغضه الاسلام :

الاسلوب الذى قدمه القرآن للمعرفة هو الأسلوب العميق الفطرى ، المتصل بالقلوب والعقول والأرواح والعواطف ، هو الطريق الذى أفتنح راعى الابل والصيد واجتذب الطفل والمرأة والمتقف والجاهل بعيدا عن التعقيدات المنطقية والعقلية ، وهو طريق الأنبياء وهو أصح طريق للأجيال المتجددة وهو أصح وأسلم وأعمق أثرا من أساليب الفلاسفة والمعتزلة والصوفية على السواء لأنه منهج القرآن •

لقول الامام الخزالى : (ان أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل انسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الاكثرون بل أدلة القرآن كالماء الذى ينتفع به الصبى الرضيع والرجل القوى ، وسائر الادلة كالاطعمة التى ينتفع بها الاقوياء مرة ويمرضون بها مرة أخرى ولا ينتفع بها الصبيان أصلا) •

ولقد جاء الاسلام بفكرة رئيسية فى المعرفة : هى فكرة الحق ، فى كل شئ فيما يتعلق بالكلام عن الله وعن أساس الحكم على الأشياء ، وجاء يحارب التقليد والجمود ، ويحارب الرأى القائم على الظن والحكم القائم على الهوى ، ويطالب بالدليل والبرهان

الاسلام منهج ثابت .

الاسلام منهج وليس نظرية ، منهج متكامل يستهدف تحقيق إقامة المجتمع البشرى ، الربلى المصدر ، الانسانى الاتجاه ،

وما يزال ارتباط الاسلام بمنابعه الأصيلية من القرآن والسنة ،
ونصه الموثق هو العامل الأول والأكبر الذى يحول دون سقوطه
فى هوة الانحراف ، وهو الذى يعطيه القدرة الدائمة على اعادة
تشكيل نفسه بعد الأزمات وفى مواجهة التحديات •

ان محاولة وضع الاسلام تحت ضوء المناهج العصرية المتحدة
من الفكر المادى من شأنه أن يحجب حقيقة أبعاده • ولقد
عجز علم الأديان المقارن عن تحليل الاسلام كما فعل مع بقية
الأديان ، ذلك لأنه أسقط أهم معالم هذا الدين وهو الوحي
والنبوة وعالم الغيب •

فالاسلام الذى هو ليس من صنع البشر وليس كتابه من
عمل البشر والذى يختلف عن المذاهب والنظريات الخاضعة
لأهواء البشر والذى يستمد أصالته من مصدره الربانى ويتجاوب
مع الفطرة والعقل والعلم ويوازى الطبيعة البشرية ولا يناقضها
لعجز أدوات العصر عن استيعابه الا اذا درسته من خلال
مناهجه هو •

ان للاسلام ذاتيته ومقاييسه الخاصة ، ومفاهيمه تتبعت
من أصول ثابتة هى الوحي والفطرة والعقل بينما تتبعت مفاهيم
الفلسفات من الفروض التى تبدأ بالظن وتبنى على القرائن ،
ومفهوم الاسلام يقرر ان لكل قيمة من القيم وجهيها المادى
والمعنوى لا انفصال بينهما ، بينما تقرر الفلسفات وجها واحدا
اما ماديا أو معنويا ، فقد عجزت عن التكامل وقبلت بالانشطارية
ان الله تبارك وتعالى قد اختار لهذه البشرية فى ختامها ثلاثة

أمور : الاسلام ديننا ، ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسولا ،
والقرآن كتابا ، واختار اللغة العربية لغة القرآن : لغة لأهل
الجنة . وأنه حقق ثلاث ظواهر هامة : أولاها هيمنة القرآن
على كل ما سبقه من كتب السماء وثانيها وراثته الاسلام والنبي
محمد لترات النبوة كله وميراث ابراهيم من المسجد الحرام الى
المسجد الأقصى ، وثالثها : اظهار الاسلام على الدين كله .

ان مفهوم الدين في نظر الغرب هو اقامة العلاقة بين الانسان
والله ، وحسب ، دون أن يكون للدين صلة باقامة العلاقة بين
الانسان والمجتمع في شئون الاقتصاد أو السياسة أو القانون
أو التربية . وللغرب في هذا الفهم للدين أسباب خاصة به ،
وعوامل وظروف تاريخية تتصل بالدين وبالتفسير الغربي للدين ،
ومدى ارتباط ذلك كله بالفكر اليوناني والقانون الروماني
والحضارة السائدة اذ ذلك فقد دخل الدين على أوروبا وهي
مشكلة تماما . مجتمعا وحضارة فأقتصر تأثيره على مجال الروح
والأخلاق ، أما بالنسبة للاسلام فالأمر يختلف ، فقد شكل
الاسلام مجتمعا من اللبنة الأولى على مفاهيمه وقيمه ومقاصده
وإذا قال الغرب بفصل الدين عن السياسة ، أو عن المجتمع ،
أو عن الأخلاق ، أو عن الاقتصاد فذلك شأنه ، وهو أمر متصل
بتاريخه وظروفه . أما الاسلام فليس مفصولا عن ذلك كله
بل مرتبط به فقد أقام البناء كله على أساس التكامل والوحدة .

لقد رفع الاسلام راية العقل والعلم والتجريب وحملها الى
العالم كله ، وكانت أوروبا قبل الاسلام تعيش على الرهبانية
والفكر النظري المتصل بالسحر والأسطورة ، فكان الاسلام هو
مصدر الانتقال من عالم النظر والتأمل الى عالم التجريب .

الاسلام دعوة الى التحرر :

ان أول الجهاد الدفاع عن روح الاسلام في بلاده ، ذلك أن روح الاسلام اذا ضعفت في المسلمين فلن يستطيعوا أن يحملوا أمانته الى العالمين ، ولا أن يحتملوا في سبيل تبليغه كل فتنة ومحنة ومشقة •

وإذ ذلك فقد كانت دعوة الاسلام الأولى الى التحرر من التبعية ومعارضة التقليد للأجنبي حتى لا يذوب المسلمون في كيان الأمم ، بينما جاعوا ليحملوا للبشرية فكرا جديدا تختلف عن الفكر البشري وربما يتعارض كثير من قيمه ومقولاته • ذلك أنهم حملة رسالة التوحيد الخالص للعالمين ، وللتوحيد شارة واضحة قادرة على مواجهة كل الأثرارات والنظريات بالرأى الواضح الصحيح •

وإذ ذلك ، ولكي تكون هناك أمة قائمة بالحق الى قيام الساعة حذر الاسلام المسلمين من التشبه بغيرهم وحرص على أن تظل شخصية المسلم وفكره وحضارته ومجتمعه متميزة ، ومن أجل ذلك أعلن حربا لاهوادة فيها على التقليد وعلى التبعية « من تشبه بقوم فهو منهم » ودعا الى اعلان التمييز في القيم والأخلاق والمثل ولا ريب أن التقليد فقدان للشخصية ، والتبعية عبودية للفكر والعقل ، ولا ريب أن آفة الضعيف هي تقليد القوى ، ولا يجرى التقليد الا في جوانب الضعف والهدم والانحلال وتتركز دائما على الانهماك في اللذات والتخلي عن القوة أو التماسك أو الصمود •

ولا يمنع هذا الموقف من مراجعة كل ما تقدمه الأمم والأخذ
بالصالح منه والانتفاع به على أن يكون المسلمون قادرين على
تجاوز العناصر التي تدمر شخصيتهم وقيمهم وذاتيتهم .

ولذلك فإن الدعوة التي تدعونا الى تقليد الغرب ومتابعته في
مظاهر الاجتماع والأخلاق هي دعوة تتعارض مع الأصالة ،
والفطرة ، ومع طبيعة النفس الاسلامية ومزاجها الذي شكله
الاسلام ، ولاريب أن الظن بأن تلك التبعية تلحقنا بركبهم هي
خطأ شائع ، ونصيحة مكر ، ودعوة ضالة .

الاسلام وحرية البحث :

سوف يعجز العلم عن القضاء على الدين ، بل ان الحقيقة
المرتبطة هو أن يؤكد العلم الدين ويعمل في اطاره . فالاسلام
يقرر الاطار الأخلاقي للحياة ، ويرسم منه العلاقات المثلى
بين الانسان والانسان ، ويجعل العلم لذلك في خدمة البشرية
لا في تهديدها وتدميرها لخدمة جماعة من المتسلطين .

ولا ريب أن الاسلام هو الذي أقام للعلم منهجه أصلا
ومنطلقه أولا نتيجة حرية البحث وتسامح النفس وسلامة
الوجدان ، فمهد ذلك كله لظهور المنهج التجريبي ، والعلم اليوم
بالرغم مما تحوطه من مظاهر المادية وتضارب حوله من
انحرافات الفلاسفة ، فإنه قد خطا خطوات واسعة نحو اقرار
الايمان بالله والكشف عن عظمة الخالق ، والاعتراف بعالم
الغيب ، وهو ما زال يعمل على تحرير نفسه من مفاهيم
الفلسفات المادية والجبرية .

ونحن كمسلمين نؤمن بأن أى حديث عن الصراع بين العلم والدين ، فهو ليس عن ديننا ، ولا يتصل بتاريخنا ، وهو لمحيط غير محيطنا ، فان تاريخنا كله لم يعرف هذه التحديات ولا ذلك الصراع الذى يحاولون نقله الآن الى أفق الفكر الاسلامى وهو منه براء •

ويكشف مدى صلة الاسلام بالعلم أن مادة (علم) وردت فى القرآن ٨٦٠ مرة وأن أول كلمة نزلت على النبى من القرآن هى « اقرأ » وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بالقلم ومايسطرون وقد أطلقت كلمة العلم فى الاسلام فلم تنحصر فى علم ما ، أو فى نوع معين •

ونحن نعلم أن ما وصل اليه الانسان بعلمه عن هذا الكون هو قليل وأن هذا الذى علمه لا يستطيع أن يفسر له سر الكون أو الحياة ، وان العلم على الرغم من غروره تواضع ، فأقر بأن مهمته هى تفسير ظواهر الأشياء •

ومن أبرز مفاهيم الاسلام التى تميزه تميزا واضحا عن الفكر البشرى أنه :

(أولا) : فصل بين الله والعالم (ثانيا) : فصل بين الألوهية والنبوة (ثالثا) : أنه قرر استحالة أن يرقى الانسان الى مرتبة الألوهية (رابعا) : ألغى الوساطة بين الله والانسان (خامسا) : أنكر سقوط التكليف الشرعية عن أى انسان مهما بلغ قدره من الايمان •

كذلك اسقط الاسلام نظريتين باطلتين : الأولى : الادعاء بأن الناس كانوا وثنيين في الأصل ثم عرفوا التوحيد ، والأخرى أن الدين ينتشر بالظروف المادية أو العوامل الاقتصادية .

والخلاف في الفرعيات أمر ضروري لا بد منه ، فأصول الاسلام من آيات قرآنية وأحاديث نبوية تختلف في فهمها وتصورها العقول والأفهام وليس هذا الاختلاف عيبا ، انما العيب في التعصب للرأى الزائف اذا ظهر الحق ، أو الحجر على عقول الناس وآرائهم حتى لا ترى الحقيقة واضحة .

وقد جمع الاسلام بين ما يظن أنه متناقض في الفكر المادى أو الوثنى :

جمع بين الأرض والسماء في نظام الكون ، وجمع بين الدنيا والآخرة في نظام الدين وجمع بين الروح والجسد في نظام الانسان وجمع بين العبادة والعمل في نظام الحياة وسلوكها جميعها في نظام موحد هو الطريق الى الله .

تتفق مختلف الثقافات والأمم على أسماء القيم الانسانية ولكنها تختلف في تفسيرها ، فالحرية والعدل والأخلاق والمعرفة والسلام والحرب ، كل هذه المفاهيم تجد لها في كل فكر وأمة ومذهب ، مفهوما متميزا . أما الاسلام فانه يقرر في ذلك أسمى وجهة نظر ، وأصدق رأى ، مستمدا ذلك من الفطرة الانسانية الصافية ، وتكامل النظرة الجامعة ، وبذلك بنى الاسلام منهجا مستقلا له طابعه الربانى المستمد من الوحي والنبوة ، والقائم على أساس الاخاء الانسانى والمسئولية

الفردية ، والجزاء الأخرى ، بعيدا عن الاكراه في الدين ،
أو العنصرية ، أو الوثنية ، أو المادية ، أو الاباحية ، فأنشأ
بذلك الأمة المختارة بالايمان والتوحيد •

وان أبرز مظاهر أصالة الاسلام اما تتمثل في أنه يرفض كل
عنصر غريب عليه ، ومن هنا تخطى النظرية التي تقول بتطوير
الدين ، ولا تنطبق على الاسلام أساسا ، فالاسلام له ذاتيته
الخاصة القائمة على دعائم من الثبات لها ما يكفل استمرار
العطاء والرقابة والتوجيه ، مع السماح بالحركة من داخل
الاطار العام الواسع المرن ، وسماحة التعبير في الفروع ،
فهي قادرة على الامتصاص ولكنها ليست أهلا للاحتواء ،
وما زال الفكر الاسلامي الأصيل يقاوم دون أن يستسلم وهو
آخر الحصون الصامدة في وجه الغزو •

الإِسْلَامُ وَالْجِنْسُ

نظر الاسلام الى الجنس نظرة مستمدة من الفطرة ، وحرره من تعقيدات الرهينة والرياضيات القاسية ، وأعلن أن الترغبات من طبيعة الانسان التي لا سبيل الى الوقوف في وجهها ، ولكنه حررها من الاسراف والافساد ، ووضع لها ضوابط من الحلال والاعتدال والعفة . ولذلك فقد عجزت أزمة الجنس أن تجد لها مجالا في محيط الاسلام لأنها لم توجد أصلا ، وقد وجدت في العقائد والفلسفات الأخرى التي وقفت أمامها موقف المعارضة والتحدى ، أو موقف الاستسلام والاطلاق بغير حدود ، وفي الغرب انتقلت الدعوة من القسر الشديد الى الاطلاق الشديد ، أما الاسلام فإنه أعلن وجود الرغبات في الانسان من مال وطعام وجنس ولكنه وضعها في اطرافها الصحيح ، ولم يجعل الطعام قضية تفوق القضايا ، أو تسيطر عليها كما فعل ماركس ، ولم يجعل الجنس قضية القضايا كما فعل فرويد ، ولكنه جعل الحياة متكاملة في عناصرها متوائمة في رغباتها وحدودها بعيدا عن الزهارة والشرف أو الرهبانية والتملل أو الاطلاق والكبت .

ومفهوم الاسلام في الرغبات يرتبط بالقدرة ويقوم على

التسليم والاعلاء في حالة عدم القهرة دون أن تفقد هذه
الريجات حقها المعترف بها في حالة الاستطاعة ، والى جوار ذلك
أقام الاسلام نظام الطهارة الجسدية والنفسية ، وأباح المصادر
الشريفة في المال والطعام والجنس ، كما أباح ظروف
الاضطرار وعفا عنها .

الاسلام والعلم :

فرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الزائد عن الحاجة .

ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو أحسنه
ودعا المسلمين الى أن يتبعوا أحسن ما أنزل اليهم من ربهم ،
والعلم كثير كما قال الرسول : « فخذوا من كل شيء أحسنه » ،
في اطار الجهاد ورفض التقليد والبحث عن البرهان وتقديم
الدليل وتغيير الرأي دون جرح متى يتعين أن غيره أصح منه .

وأبرز مفاهيم الأساس في هذا : الوضوح الصادق حيث
لا تأويل ولا كناية ولا غمغمة ، وحيث لا يحمل اللفظ أكثر
مما يطيق ، أو يؤدي أكثر من معنى وحيث الحق حق ، والباطل
باطل ، وحيث أن الأمر اما أن يكون حقا واما أن يكون باطلا
ولا وسط ، ولا يكون الشيء في وقت واحد حقا وباطلا ولقد
هاجم الاسلام الخرافات والسحر والكهانة ، وأنكر العرافين
والعرافة ، وطارد الأوهام والمعتقدات الباطلة وأنكر ادعاء علم
الغيب واعتبر السحر كفرا ، وحرص على أن يرتفع المسلم
بإيمانه عن الضعف البشري الذي يجعله أعبوبة في يد أوهام
التجسيم وأصاليب العرافين .

كما حرر الاسلام أهله من دوامة البحث وراء الطبيعة أو عالم الغيب فقدم له منهاجا متكاملا ، وذلك حتى يفرغ الانسان لمهمته في بناء الحياة وتعميرها ، وتحقيق العدل والاخاء الانساني ، والعالم في مفهوم الاسلام ليس قديما ولكنه حادث ، وليس سرقة ولكنه ينتهي بأجل مسمى ، خلقه اله قادر مستقل عن العالم .

وأن نواميس الكون هي من وضع الله سبحانه وتعالى ، وأنه هو وحده الذي يستطيع أن يخرق هذه النواميس وهو المحيط بالعوامل التي تخفى على البشر في تقدير الأمور .

ان هناك خلافا واضحا بين المفاهيم الانسانية والعلوم التجريبية

ومن أجل ذلك فانهما لا يمكن أن يخضعا لنهج واحد في المعرفة أو التفسير ، هذا الاختلاف يرجع الى المفاهيم التي ترتبط بالانسان من حيث مشاعره وعواطفه هي أمور يصعب إخضاعها للقوانين التي أخضعت لها الظواهر الطبيعية ، هذا فضلا عن أن التجربة التي تلعب دورا رئيسيا في كشف القوانين الطبيعية يتعذر تطبيقها في مجال المفاهيم الانسانية بحيث لا يمكن اقامة منهج البحث على أساسها .

وإذا كانت القوانين الطبيعية تصدق في كثير من أحوال المادة فانها لا تستطيع أن تحقق شيئا ما بالنسبة للمفاهيم الانسانية وخلجات النفوس وعواطف الانسان التي غير خاضعة للتجريب ، والتي تحكمها عوامل عديدة من العسير حصرها أو السيطرة عليها .

وإذا كانت العلوم التجريبية محدودة بالمقاييس والموازن
المضبوطة فإنه من العسير أن تتحرر المفاهيم الانسانية من
الأهواء والميول والمصالح •

فالبحث فيما يتصل بالانسان انما يتصل بعقائد وثقافات
وتقاليد من شأنها أن تحول دون التقديرات العلمية الصحيحة ،
ومن هنا يتبين أن المفاهيم الانسانية لا يمكن اخضاعها لمثل
ما تخضع له القوانين الطبيعية •

الفكر الاسلامى والفلسفات الغربية :

حاولت بعض الفلسفات الغربية أن تقول بأن الدين مرحلة في
حياة الأمم ، وأن الأمم قد تجاوزت هذه المرحلة ، وأن الدور
الذى احتاجت فيه البشرية الى الدين قد انتهى ، وأن البشرية
أصبحت راشدة بالعلم وليست في حاجة الى وصاية الدين ، ومن
الحق أن نقول : ان هذا القول لا يمثل الحقيقة ، فان أمرا ما
لم يجد على البشرية يعطيها رشدًا حتى يمكن أن تتحرر من
الدين ، فاذا قبل العلم والتكنولوجيا فانهما لم يعطيا النفس
الانسانية شيئًا لا من اليقين ولا من الايمان ولا من السعادة
المرتجاة ، وانما أعطاها القلق ، لأنها حين تقدمت في هذا
المجال تجمدت وتحجرت في المجال الآخر : المجال النفسى
والروحى والمعنوى ، وآية التقدم أن يكون جامعا وشاملا ،
وإذا كان الغربيون يرون أن دينهم لا يعطيهم ، فان الأمر يختلف
بالنسبة للمسلمين ، فما زال الدين عنصرا أصيلا في حياتهم ،
وما زال معطيا للنفس الانسانية والعقل الانسانى على النحو

الذى يكذب بكل دليل مرحلية الدين ، والواقع أن الدين فطرة من فطر النفس ، فهو جزء من التكوين البشرى ، وأن صلته بالانسان والحياة صلة جذرية ، فهو ليس مرحلة ولكنه استمرار ممتد في كيان الانسان : عقله وروحه وحياته ، لا سبيل الى الانفصال عنه أو انتزاعه ، ولذلك فان الدين لم يموت ولن يموت ، وان الفكر الغربى حين يدعى أنه تجاوز الدين — بمعناه الحق — فانه قد تجاوز به اليقين والسكينة ودخل في أشد أزماته وأخطرها .

ان منهج البحث لى فكر — أو ما يطلقون عليه (الأرجانون) — انما يستند الى خصائص اللغة ، ولكل لغة منهاجها الفكرى القائم على معانيها ومضامينها ، ومن العسير أن يقوم منهج البحث في فكر أمة على غير خصائصها اللغوية ، ولذلك فقد هاجم المسلمون المنهج الأرسطى حيث انه مستند الى خصائص اللغة اليونانية ، ومن هنا يبدو عجزه عن الأداء في مجال لغة أخرى لها خصائصها : هي اللغة العربية ، كذلك الأمر بالنسبة للمنهج الغربى الوافد ، المتصل بخصائص اللغات الانجليزية والفرنسية فانه يواجه نفس العجز في مجال اللغة العربية ، ذلك أن الفكر الاسلامى له منهج البحث الخاص به المستمد من اللغة العربية التى نزل بها القرآن .

ولقد أشار الامام الشافعى الى هذا الخطر حين قال : ما جهل الناس ولا اختلفوا الا لتركهم لسان العرب وميلهم الى لسان أرسطو .

فطى المثقفين العرب أن يفكروا بلغتهم وأن يتحركوا من

داخلهم ، وان يتجاوزوا تلك الحواجز التي تفرض عليهم أن يظلوا في دائرة الفكر الغربي الذي يقاسى اليوم أشد أزماته ، ويصارع أقسى تحدياته ، ذلك ان محاولة فرض المنهج الغربي الوافد اليوم على المسلمين بهذه التجاوزات العميقة والاختلافات الواسعة التي تفصل بينه وبين المنهج الاسلامى ، هى محاولة لتدمير عقلية الشعوب الاسلامية وأسلوب تفكيرها ونظرتها الى الأشياء ووضعها في دائرة الغرب لتفقد ميزتها الأصيلة والأساسية وطابعها الذاتى فتصبح تابعة تدور في نك الفلك المنهار .

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

أبرز معالم الاسلام التكامل : بين العقيدة والشريعة والأخلاق ، وتقوم دعوته على الاتساع دون الازام — فلا اكراه في الدين ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء أن لا يؤمن فهو صاحب الارادة فيما اختار لنفسه ، وفي نفس الوقت لا يحمل الاسلام الانسان تبعة ليست من صنعه ، فلا تترر وازرة وزر أخرى ، فليس الانسان مسئولا عن خطيئة أحد ، وليس هناك خطيئة ما لأحد من خلق الله يمكن أن تتسحب على الناس جميعا أو البشرية كلها ، بل ناط الاسلام بكل انسان تبعة أعماله وتصرفاته ، وأقام حرية الاختيار ، وقرر أن الأصل في الانسان الخير على خلاف ما تقول بعض العقائد ، من أن الانسان خلق خاطئا أو كان في أول أمره دنسا ، أما القرآن فيقرر أن الانسان خلق طاهرا وخلق تاما ، وليس في الاسلام خطيئة موروثه لها نفوذها على الانسان قبل ولادته وخلال حياته وتحتاج الى التوبة أو الكفارة •

يقول جوستاف جرويتاوم : ان الانسان الاسلامي على خلاف غيره ، لا ينوء تحت وطأة الخطيئة الأصلية التي تحكم عليه وعلى نفسه بالسوء والفساد •

ولا يقر الاسلام استقلالية الأخلاق عن دائرة الدين ويلزمها بالحركة داخل اطاره ، كذلك لا يقر نسبية الأخلاق ، ويرى أن القيم الأساسية ثابتة ثبوت الكيان الانسانى نفسه الذى يجمع بين الروح والمادة والقلب والعقل •

المسئولية والجزاء فى الاسلام :

قرر الاسلام المسئولية الفردية مع حرية الارادة للانسان ، وقرر فى مقابلها الجزاء الأخرى عن العمل : فالدنيا دار تجربة ، والانسان له رسالة وعليه مسئولية ، والآخرة دار جزاء • ولا بد لذلك من بعث بعد الموت •

وليس فهم الحياة بوصفها معبرا الى الآخرة مما ينقص من هدف بنائها والسعى فيها وتحسينها ، ذلك أن المسلم مطالب أن يعيش فى الحياة معيشة العزة والكرامة ، وأن يكون قادرا على تبليغ كلمة الله الى العالمين ، ولا ريب أن الانسان بمسئوليته ورسالته والتزامه أشد قوة على مواجهة الحياة وقدرة على العمل بها من الذين لا يرون للحياة هدفا ، والذين يرونها صدفة ، وهم الذين تتحطم نفسياتهم تحت تأثير التمزق والقلق والعبث واللامعقول •

لقد دعا الاسلام الى العمل والاقترام ثم الرضا بقضاء الله فى النتائج ، فالانسان يحمل تبعه عمله ويطلب العون من الله ، فاذا أخطأ كان عليه أثر خطئه ، وعليه أن يعاود النظر فى الوسائل ويعاود الكرة ولا ييئس فالؤمن لا ييئس من روح الله •

رَسُولُ الْإِسْلَامِ الْمَثَلُ الْكَامِلُ

الرسول محمد — صلى الله عليه وسلم — كان ولا يزال وسيظل النموذج الاسمى والمثل الكامل ، فى تصرفاته وشمائله وأعماله ، الذى يقتدى به المسلمون ، فهو الأسوة الحسنة ، وهو الرسول الانسان الجامع بين عطاء الوحي وقدرة البشر ، وسيظل عمله وخلقه وتصرفه مثلاً قائماً وقدوة دائمة عبر العصور أمام جميع المجاهدين والمصلحين ، وملهما للأبطال والقادة ، ولقد كان حب المسلمين — ولا يزال — لرسولهم حباً عملياً ، لأنه ارتبط بالقدوة والمتابعة من ناحية ، والايمان بالله سبحانه وتعالى صاحب الأمر كله أساساً ، والمسلمون يفرقون تماماً بين قدرة الله المطلقة العالية والايمان به وحده ، والتماس القصد منه ، وبين النبي محمد — صلى الله عليه وسلم — الذى هو النموذج الأعلى للبشرية ، ولذلك فقد واجه المسلمون اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى بيقين كامل وفهم واضح أنه بشر يجرى عليه ما يجرى على البشر ، وتعمل أحكام الاسلام على ادامة وضوح الفهم والتفرقة بين الاكوهية والنبوة ، واجتماع الوحي والبشرية للنبي والرسول ، فهو وحده المعصوم ، أما البشر فانهم بعد ذلك ليسوا الا بشرا وليست

لهم خصائص النبوة أو الألوهية قطعا . وأن أبرز ما في الإسلام وضوح سيرة النبي وضوحا كاملا ، فالمسلمون يعرفون ، يقاتق حياته ، ووقائع أعماله ، ونصوص كلماته ، على نحو كامل ، وقد وثقت هذه النصوص على مدى الأزمان بحيث لا يدخلها الشك أو الريب ، ومن ثم فإنهم يجمعون الى النص الموثق المنزل وهو القرآن الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، يجمعون اليه السنة المطهرة والسيرة الكريمة نبراسا تطبيقيا للقرآن ، تمثله في ذلك النموذج الكامل للبشر : محمد صلى الله عليه وسلم .

الاسلام يعالج النفوس الحائرة :

ان أزمة البشرية اليوم هي أزمة الانفس الانسانية الحائرة التى ظنت أن معطيات المادة تستطيع أن تقدم لها الطمأنينة والسعادة والنعماء . ذلك لأن المفهوم البشرى المسيطر في عالم الفكر والحياة هو مفهوم جزئى انشطاري مادي يحكم الأشياء كلها بروح المادة ويرى أن يفصل فيها ، ومن ثم تقلصت مسائل النفس والروح والمعنويات والدين ، وهنا نشأت تلك الحيرة الهائلة التى تجتاح النفوس بالتمزق والتحلل والضياع ، ذلك أن مفهوم التقدم العلمى قد حاول أن يحجب الانسان عن يد الله القادرة وراء كل القوى والأمور ، ظنا بأن قوانين المادة التى اهتدى اليها الانسان هي وحدها التى تحرك الأمور ، كذلك فقد ظن الانسان أن السعى والعمل وحده كفيلا بأن يحقق الرغائب ولكن السعى ينجح ويفشل ، وقد ظن الانسان أن

الحياة هي غنيمة باردة سهلة ، عليه أن يفيضها قبل أن تنتهي لأنه لا يؤمن بما وراءها ، كذلك فهو قد آمن بالجبرية ورفض الارادة ذات المسئولية والجزاء وفي كل ذلك خرج الانسان عن فطرته وأغضى عن عطاء الدين الذي هو الضوء الوحيد الكاشف الصادق في هدايته الى الطريق وفي سبيل تحريره من أهوائه ومطامعه ، ومن هنا جاءت تلك الأزمة التي ليس لها علاج الا بالعودة الى الايمان بالله : قوة دافعة تعطى الأمل ، وتحول دون اليأس ، وتبعث الثقة ، وتدعو الى المعادة في حالة الاخفاق وتهدى الى الوجهة الصحيحة للانسان والعمل الذي استخلف من أجله . وقد تبين أنه لا سبيل الى تفرغ كيان الانسان من مضمونه الاجتماعي والنفسي والروحي أو النظر اليه على أنه ذلك الهيكل البشرى خاليا من الروح والوجدان .

لا رهبانية في الاسلام :

ألغى الاسلام الفكرة القديمة التي كانت تقول ان هناك صراعا بين الجسم والروح ، وأعلن أن الروح والجسم متكاملان ، وبذلك أسقط مفهوم اللاهبنانية القائمة على الرياضة العتيقة وتدمير الجسد من أجل الصفاء الروحي ، كما أسقط مفهوم الاندفاع المسرف الى الشهوات والملذات ، آمن الاسلام بالروح والجسم معا ، ونظر الى الانسان نظرة متكاملة ، وكرمهما معا ، ودعا الى الاهتمام بالجسم من ناحية النظافة ، وجعل الطهارة دليل الايمان ، ودعا الى طهارة القلب لا الجوارح فحسب ، وجمع بين النظافة والطهارة والزينة ، وربط بين الدنيا والآخرة .

ومن هنا فقد قضى الاسلام على فكرة أن الجنس هو غاية الحياة أو أكبر أهدافها فقد جعل الرابطة الاجتماعية في الأسرة هي أقوى الركائز لبناء المجتمع ولسعادة الرجل والمرأة جميعا ، كما قضى في نفس الوقت على فكرة الجنوح عن الزواج وبناء الأسرة وعده نقصا في التكوين البشرى •

وقد اعترف الاسلام بالرغائب البشرية وأباحها في اطار الضوابط الشرعية والأخلاقية ، مع حسابان الطائفة والمغفرة والعفو •

وفي نفس الوقت الذي اعترف الاسلام فيه بالرغائب البشرية حرر الانسان من طابع عبادة الشهوة أو عبادة الأجساد أو عبادة الفرد أو عبادة ما سوى الله الواحد الأحد •

كذلك دعا الاسلام الى تهذيب مداخل الشهوات ومخارجها فوقف بها عند الحد الذي لا يؤذى الفرد ولا المجتمع والذي لا يحول دون تدمير الشخصية الانسانية •

الاسلام يأمر بالعدل والاحسان :

دعا الاسلام الى الانصاف من النفس واقرار الحق بالنسبة للقريب والبعيد في آن ، وللمعدو والصديق في آن ، وجعل من شرعته أن يتساوى أمام العدل والحق : الأمير والأجير ، وهو في هذا يصحح خطأ الأمم والحضارات التي تنصف أهلها ولا تنصف الغير وقد عبر رسول الله عن هذا في أبلغ بيان حين

قال : انما اهلك من كان قبلكم لأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد » وكشف النبي عن موقف الاسلام في أن الرسول نفسه يقيم الحد على أقرب الناس اليه « وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » .

كذلك جعل الاسلام الجزاء مقتصرا على الذنب وحده ، ورفع أساليب الظلم القديمة التي كانت تؤخذ بها الأمم والقبائل والقرى ، وفي الحرب حرم الاسلام أن يعتدى على غير المحاربين ، ومنع مثل الشيوخ والأطفال والنساء والزهاد .

كذلك دعا الاسلام الى المطابقة بين الكلمة والسلوك ، والايان والعمل ، وربط بين العقيدة والعمل ، فاتصل ذكر الايمان والعمل الصالح في القرآن خمسين مرة ، ولقد كان من أخطر الأخطار على المجتمعات — ولايزال — انفصال العلم عن العمل ، ولقاء المفاهيم نصوصا لا تطبق في المجتمعات ولا تمارس بين الناس ، ذلك أن الاسلام انما يريد من المفاهيم الصالحة والأفكار النافعة أن تكون أداة بناء حياة كاملة في اطارها وضمن مضمونها .

نظرة الاسلام الى المال :

قرر الاسلام أن المال وسيلة لا غاية ، وطريق لا هدف ، وأن المال كله هو ملك لله تعالى ، وأن الانسان مستخلف فيه ، استخلفه الله عليه للانتفاع به وتوجيهه في سبيل الله ومصلحة

المجتمع ، وقد كرم الاسلام العمل والانفاق ، والمال تطهره الصدقة ، والزكاة ركن ، وهو نظام للتضامن الاجتماعى ، وقد دعا الاسلام الى تداول المال بين الناس جميعا دون قصره على طائفة خاصة ، وقيد حق الانفاق بمنع السرف والتقتير ، وقيد تنمية الثروة بمنع الغش والربا والقيمار والاحتكار ، وجعل الدولة ضامنة من لا مال عنده ولا عمل فهي تتولى ايواء العجزة وذوى العاهات ، وأنكر الاسلام احتكار الثروة فى طبقة واحدة وأنكر احتكار التجارة وحرم أكل أموال الناس بالباطل •

ودعا الاسلام دعوة صريحة ملحة الى الانفاق وهاجم البخل ، كذلك فرق تفرقة واضحة بين البيع والربا فأحل البيع وحرم الربا •

أساس المعرفة فى الاسلام :

قرر الاسلام أن للمعرفة جناحين : روحا وعقلا ، وحيا ونقلا ، والوحى أساس ، والعقل فى حدود مهمته وقدرته خادم للوحى ، وقد دعا الاسلام الى المطالبة بالبرهان والدليل ، ونهى عن تحكيم الهوى أو العصبية فى الكشف عن الحقيقة كذلك فتح الاسلام باب الاجتهاد فى فهم الحقائق ، والنظر فى الفروع •

وقرر القرآن دستور العلم ، فدعا الى عدم الانخداع بالأوهام والاعتزاز بالظنون ، والقول بغير دليل ، واعمال العقول ، لا يقلدون أحدا ، احرار فى النظر لا يبيعدهم عن ذلك شئ ، وقرر الاسلام الاكتمان للعلم ، بل دعوة الى اذاعته وبثه

في الناس وعقاب من يكتمه ، وجعل السلطان للحجة والبرهان ، ودعا الى التحرر من التبعية والتقليد وأقر الاسلام نظام الثوابت والمتغيرات : فهناك الثوابت التي لا تتغير وهي الأصول التي تقوم عليها حركة المتغيرات .

وأقر الاسلام للمجتمعات قواميس ثابتة ، وكشف عن أن للوجود الانساني سننا لا تتغير هي سنن الله في الكون ، وهي التي تحكم الأمم والحضارات والمدنيات والمجتمعات ، وقد ورد هذا في القرآن قبل أربعة عشر قرنا .

وأقر الاسلام مفهوم التقدم على أنه تقدم جامع : مادي ومعنوي معا وليس تقدما ماديا خالصا ، والاسلام لا يعارض التقدم بل يدفع اليه ، وكذلك النجاح المادي فهو ليس غاية في ذاته بل مرتبط بالتبعية الأدبية ولقد جعل الاسلام الغاية من مختلف أنواع النجاح أن يكون خلقيا .

الإسلامُ دينٌ تُرَابُطٌ وَمُساوَةٌ

أقام الاسلام أصول الأخوة العالمية وجعل روحها الترابط
والمساواة ، وبذلك هدم أنظمة العبودية واستعلاء الطبقة
الخاصة وألغى الرق والسخرة ، وحرر العبيد ، وأدخلهم في
نطاق الاخاء : لهم مالهم وعليهم ما عليهم •

والاسلام لا يقر أى فروق في الجماعة على أساس اللون
أو الجنس أو اللغة ، وقد سوى بين الأجناس : فلا يرى لأبيض
على أسود ولا لعربي على عجمي من فضل الا بالتقوى وبذلك
مهّد للوحدة العالمية الحاملة لمختلف العناصر والأقوام ، على
أساس التوحيد بصرف النظر عن فوارق اللون أو الدين
أو اللغة • ويفرض الاسلام القول بأن هناك جماعة معينة بينها
وبين الله عقد خاص لتكون مسودة على العالم ، ويقرر أن عقد
الله الوحيد مع البشرية هو التقوى : وبذلك شجّب الدعوة
الغنصرية القائمة على الدم والأنساب ومنع التفاضل بهما ، ولم
يجعل الانساب والدماء ميزانا لتقدير الناس بل جعل الناس
جميعا متكافئين في أموالهم ودمائهم •

وقد قرر الاسلام هذه الأخوة البشرية منذ أربعة عشر قرنا

وهو المبدأ الذي لم يعرف عند الروم ولا الأوربيين أو الأمريكيين المعاصرين — على حد قول برناردشو ، فاذا سألت العربي أو الهندي أو الفارسي أو الأفغاني من أنت ؟ : يجيبك : أنا مسلم ، أما العربي فاذا سألته من أنت ؟ قال : أنا انجليزي أو طلياني أو فرنسي • فالعرب يترك الدين ويتمسك بالجنسية أو الوطنية • ويقول المسلم : أنا مسلم بصرف النظر عن جنسيته أو وطنه • وهذا أكبر دليل على أن الاسلام يوحد بين أهل العقيدة المشتركة •

تحرر الفكر والتدين

في الاسلام يلتقى الدين بالعلم ، والاسلام هو الذى دفع المسلمين الى الخروج من دائرة المنهج اليونانى القياسى الى انشاء المنهج التجريبيى ، فقد دعا الاسلام الى النظر فى الكون والتأمل فى الكائنات ، ومعرفة أسرار الوجود .

كذلك فقد جعل الاسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، ودعا الأمة أن ترتب أقواما لتعليم الناس ، وحث على العناية بتنمية العقل الانسانى ، كذلك فضل العلم على العبادة ، وفضل العلم على اطلاقه : علم الدنيا وعلم الدين ومن هنا كشف عن حقيقة هامة : هى أنه لا تعارض بين تحرر الفكر وبين أن يكون الفكر متدينا .

وقد وصل المسلمون الى أعلى درجات العلم والثقافة ومع ذلك فقد ظل مجرى عقولهم قائما على الايمان بالله ، والعلم فى الاسلام يزكو بالانفاق ، وقد أخذ الله الميثاق على العلماء أن يبينوه للناس ولا يكتموه . وقد أطلق الاسلام حرية البحث ،

وحدث على الاجتهاد ، وقرر أن للمخطيء أجرين اذا أصاب وأجرا اذا أخطأ وحرّم التقليد ودعا الى عدم الانخداع بالأوهام أو قبول الظن أو القول بغير دليل ، ودعا الى استعمال العقل وسؤال أهل الذكر •

وقد اعترف الاسلام بقانون الترقى وطالب بترقية الشخصية الانسانية وتحريرها من الوثنية والتبعية والجهل والخرافة •

لاتناقض في الاسلام :

ليس في الاسلام تناقض بين المثل الأعلى والواقع العملي للناس ، وليس فيه ما يصادم العقل أو الذوق أو الفطرة أو العلم • ومن هنا فالاسلام يقر الفلسفات المعقدة ، ولا يقر الاشراف أو التناسخ أو الحلول أو الالحاد ، وليس فيه من يسقط عنه التكليف •

وبذلك أقام الاسلام الفطرة ودعا الى بقائها وشدد بالنهاى عن افسادها بالتعاليم الضارة ، ونبه الى ضرر التقليد الأعمى للآباء والقادة •

كذلك دعا الى حفظ الدنيا وتمييزها في اطار التقوى وتوجيهها الى الله ، وجعل أقوى صور الزهد هو التضحية بالنفس في سبيل الجماعة ، ودعا الاسلام جميع أبنائه الى الاندماج في المجتمع وقهرهم قهرا على الأخذ من منافع الدنيا بنصيب ، وجعل كل ايقات للحياة عن الحركة بالنسك والزهادة مخالفة

صريحة لمفهومه وابتعاد عن الحياة العملية • وبالرغم من هذا يدعو الاسلام الانسان الى الزهد في وسط مغريات الحياة وليس بالعزلة عنها والعالم في نظر الاسلام ليس سرمديا ولا أزليا ولكنه حادث ولكل شيء فيه أجل مقرر ونهاية محتومة •

وأكد الاسلام قيام الصلة بين الانسان وخالقه دون وساطة أحد من الناس وكشف عن أنه ليس فيه سر ولا تناقض ولا أمر يعرفه أحد من الناس دون المسلمين جميعا ، وليس في الاسلام رجل دين له حق يزيد عن حق الانسان العادى ولا هو مخول حق السيطرة على الناس •

مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ فَقَدْ عَرَفَ نَفْسَهُ

ان كلمة « اعرف نفسك » وعليها يقوم الفكر الغربى الوثئى
كله كلمة مضللة ، والمسلمون يقولون اعرف ربك تعرف نفسك ،
ومن عرف ربه جل ومن عرف نفسه ذل ، وهم حين يواجهون
أزمات النفوس لا يضعون لها العلاج ولا يكشفون عن أسباب
المرض ، ولكن الاسلام يلقي الأضواء صادقة ويقول كلمة البرء
والشفاء . انهم يثيرون الشبهات ويخرجون الصدر ويمتنعون
عن القاء الضوء الكاشف على الطريق الصحيح ، انهم يريدون
أن يعلنوا أن ذلك من طبائع الأمور وهو غير صحيح فالفطرة
سكينة وطمانينة والخروج عنها قلق وتمزق ، وما وقع هذا
التمزق فى البشرية الا نتيجة خروجها عن الفطرة ، انهم يعالجون
رغبات النفس بمزيد من الرغبات ، وانفتاح النفس على اللذات
يجعلها لا تترتوى أبدا بل ينهكها ويدمرها ، انهم يعالجون
الحرمان بخلق هذا العالم الوهمى من الغناء والمسرح ، ومايشفى
هذا ، ولكنه كالمخدر يصل بالنفس بعد أن تضيق الى أقسى
صور الأثرة .

ان النفس البشرية لها علاجها ليس باطلاقها بل بضبطها ،
وليس بالمخيرات بل بالمبررات ، ولا بد من ارتفاع صوت العقل

على نداء الجسد ، واعلاء الخلق على الابتذال ، وتطويع الهوى
للهدى ، واخضاع المزاج للفكر ، ان فى الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله :
• ألا وهى القلب •

والمسئولية والحرية متلازمان فى الاسلام فالحرية تنمو
وتتسع باتساع العقل وحسن استثماره ، وكذلك المسئولية تنمو
وتكبر بازدياد الحرية ، والاسلام يحزر الانسان من عبوديته
لأية قوة مهما كانت بشرية أو غير بشرية •

مَقُومًا شَا مِنْ نَبِيِّ دِينِنَا

هناك أمور ليست أممية ولا مشتركة بين الأمم البشرية جميعا ، فهي مطبوعة في كل أمة بطابعها الخاص ، تلك هي الأخلاق والعادات والتقاليد والآداب والذوق والروح والمزاج •

ان هذه الأمور هي مقومات كل أمة ومنبع الهامها ، وهي ترجع الى عوامل كثيرة أبرزها عامل الدين والعقيدة بالاضافة الى عامل البيئة والتاريخ والعنصر ، ولا ريب أن الفوارق بين الأمم من ناحية الأخلاق والاجتماع والعقائد واللغة ، قوية عميقة الجذور الى درجة تجعل من المستحيل تذويبها أو اختواءها من جانب القوى المسيطرة أو الغازية •

وذلك هو ما يطلق عليه الطابع الخاص : فقد نقل الغرب علومنا دون أن يعتنق ديننا أو يقبل ثقافتنا ؛ ذلك لأن هذه مما يدخل في خصائص الأمم وطوابعها الخاصة ، أما العلم والمعرفة فتلك أمور عامة ملك للأمم جميعا ، ولقد كان من دأب التغريب والغزو الثقافي اخراج المسلمين والعرب من مقومات دينهم وفكرهم في محاولة لاذابتهم في بوتقة فكره العالمي ؛ وتعويض مجتمعهم في مصادره الأساسية وهزيمة العقل الاسلامي من

خلال منطلقاته الأصلية . هذه المنطلقات هي رأس مال المسلمين وميراثهم وأداة قوتهم ، وهي التي حفظت وجودهم هذا المدى الطويل وحققت لهم النصر في كل موقف ، ومكنت لهم في الأرض ومنحتهم المهابة والمكانة في نظر الأمم ، فمن العسير أن يتخلوا عنها أو يفرطوا فيها .

لا بديل للتشريع الاسلامى :

حملت موجة الزحف الاستعماري التي طوقت العالم الاسلامى معها ، تلك المحاولات التي فرضت نظما وافدة للاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية والقانون تختلف عن طبائع هذه الأمم وقيمها . ولقد عجزت هذه المحاولات أن تستوعب النفس المسلمة أو تجد لديها القبول ، وكشفت التجارب المتعددة حاجة المسلمين الى اعادة النظر في تلك المناهج الواغدة . وقد حملت هذه الرياح معها القانون الوضعى الذي جرى تطبيقه بديلا للشريعة الاسلامية ثم ظهر من عيوبه ونواقصه ما كان بعيد المدى في اضطراب الحياة الاجتماعية ، وهو ما دعا الى اعادة التماس مصادر التشريع الاسلامى ، كما حملت معها محاولات اسقاط القيم والفرائض التي كان لا يسقطها أثرها في العجز عن مواجهة أخطار الغزو الخارجي ، وجرت المحاولات لتحريف التاريخ والنصوص الأساسية على نحو استهدف افساح الطريق لاقرار مفاهيم زائفة حاولت الصهيونية اقرارها مثل التشكيك في رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز بل ووجود اسماعيل وبناء الكعبة بيت الله الحرام ، وجرت

المحاولات لاضافة أشياء ليست أصيلة مثل الاسرائيليات وادخال التأويل في التفسير بما يبرر الواقع ، أو يؤيد مذهباً ما ، وكل هذا مما لا يقره الاسلام الصحيح وما يزال تحرك المسلمين جارياً في نطاق القرآن فاذا خرج عنه واجهوا الحرج والأزمة والتمزق وواجهوا خربات الأمم وذلك في الحياة الدنيا . ولن يرفع الحرج الا بالتماس منطق القرآن وتطبيق الشريعة . ان الطريقة الوحيدة التي اختارها الاسلام للمسلمين للتحرر من الأزمات ان يعودوا الى المصدر الأصيل للعقيدة وأن يحكموا في ضوءه على كل ما في حياتهم من أوضاع .

رَسُولُ الْإِسْلَامِ هُوَ الْقُدُّوسُ

عاش المسلمون تاريخهم كله في نضال مستمر من أجل شيء واحد هو أن لا يخضعوا لانحراف الأهواء المضلة ولا النحس التي تخلب الألباب بعباراتها البراقة وتخفي السم في الدسم ، ومن نتيجة ذلك كانت الأمانة المحفوظة المنقولة على مدى الأيام : هي أن نعرض كل ما يقدم لنا على كتاب الله فهو المصدر الأول لفكرنا ، فلا نقبل الا ما كان مطابقا له ، ولا نثق بكل مايكتب ولا كل ما يقال مهما كان له بريق من شهرة قلم كاتب أو أناة طبع كتاب .

ولقد تواصلى المسلمون بأن مذهبهم هو المذهب الجامع القائم على السنة ، وليس هو مذهب الفلاسفة أو مذهب الباطنية أو مذهب المعتزلة أو الغلاة أو التصوف الفلسفي ، وذلك أن الاسلام في مفهومه الجامع القائم على السنة قد جمع بين العقل الذي عرفه المعتزلة ، والقلب الذي عرفه الصوفية ، فاذا أردنا نموذجا تطبيقيا لهذا التكامل وجدنا هذا النموذج في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرآن هو المنهاج والرسول هو التطبيق (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أما بعده فالكل بشر تأخذ منهم ونترك ، ما وافقوا كتاب الله .

ولقد أدخل المسلمون حب رسول الله وآل بيته داخل فكرهم ،
غأجبوا أهل البيت حبا صحيحا ولكثهم احتفظوا بمفهومهم
الكامل للتوحيد والنبوة ، ولم يؤمنوا بالعصمة الا لرسول الله
وحده ، وقد بين رسول الله الاسلام فلم يختص أحدا بشيء
. ولم يكن منه شيئا ولا سرا ، فليس لفئة ما من المسلمين ميزة
خاصة ، وجعل الصلة بالعمل وليست بالنسب .

الاسلام دين عزة وسيادة :

ان من أخطر المعانى التى حاول التغريب والاستشراق
والتبشير اسقاطها من النفس الاسلامية : هو أن الاسلام عقيدة
ونظام وتربية ومنهج حياة ، وأنه ربي أتباعه على العزة الكاملة ،
أنه لم يقبل الضيم يوما ، ولم يسمح لأهله الرضا بالذل
لا مساندة الخضوع ولا اعانة العبودية ، فقد ربي الاسلام
منتقيا على الاعتزاز بكرامتهم ورباهم على الايمان بأنهم
لقوا ليفرضوا وجودهم فوق هذه البسيطة ، ولينتزعوا مكانهم
مت الشمس ليكونوا سادة ولا يكونوا عبيدا من غير من
لا ظلم ولا اعتساف ، فليس الاسلام حليف ذلة ولا حليف
غيان . ولقد كان الاسلام ولا يزال مصدر حركة المقاومة ضد
الاستعمار والغزو وكل نفوذ أجنبي وأنه هو الأداة الأصلية
الصحيحة لتحقيق النصر ، وقد تمكن المؤمنون به أن يتحرروا
من رق الدول المستعمرة ذات العدة والعدد ، بينما لم يكن
للمسلمين سند ولا مدد الا ايمانهم بالله وعزتهم وثقتهم بوعد
الله ، وعقيدتهم القائمة على التوحيد الخالص فلا يخافون
الا الله ولا يرهبون سواه ، ولقد نصرهم هذا الاعتقاد فى مواطن

كثيرة ، وحررهم من الاستعمار والغزو ، وحق لهم اليوم أن
يلتمسوه في بناء مجتمعهم ودولتهم وأمتهم ، ذلك أنه إذا كان
الاسلام ازاء الاستعمار عامل تحرير فانه سيكون ازاء البناء
الاجتماعى . عامل تقدم .

الاسلام يدعو الى الترابط ويمقت العصبية :

ليس ثمة تناقض بين كيان الأمم وانتمائها الاسلامى وبين
ترابطها العالمى باسم الفكر والدين والعقيدة . فالاسلام لم
يعمل على محو القوميات بل اعترف بالشعوب والأمم ، ولكنه
دعا الى محو العصبية . وقد جعل الاسلام الانتماء الى الأمم
والأجناس وسيلة لخدمة الانسانية التى رسم الاسلام مثلها
وأهدافها . ولقد ترك الاسلام لكل شعب لغته والكثير من
عادته وفنونه ولكنه وحد العقيدة ، أى أنه أقام مفهومها أصيلا
فى النظرة الى الله سبحانه ، والوجود والحياة ، ووجد طريقة
العبادة والشريعة ونظم العلاقات بين الناس وأسلوب السلوك
والأخلاق .

ان التفرقة بين الاسلام والعروبة هى محاولة معارضة
لطبائع الأشياء ، ذلك أن العروبة تشكلت فى اطار الاسلام
وصلتها به صلة جذرية وعضوية معا ، ولقد صهر الاسلام
القوميات فى البوتقة الاسلامية وأحالها من تفرق العرق
والعناصر الى جوامع وحدة الفكر وتكامله .

ولقد كان الشعور بالعروبة مرتبطا بالرسالة الانسانية

ومفتوحا على الأمم التي اعتنقت الاسلام عطاء وأخذا ومحبة
ورباطا ثقافيا وعقديا عميق الجذور واسع المدى •

وليس الاسلام ملكا للعرب وحدهم ولا لأية أمة من الأمم
وإنما هو رسالة الله الى الانسانية جميعا ، وقد اختير العرب
لحمل لوائها وأعدهم الله لذلك اعدادا صحيحا فقاموا بدورهم
ولا يزالون مؤهلين لتجديد هذا الدور •

ولقد خلق الاسلام العرب خلقا جديدا وانتقل بهم الى المجال
الدولى ، ولقد أقام الوحدة على أساس العقيدة والفكر ، وليس
على أساس الجنس والعرق ، وكان الاسلام السور المنيع الذى
رد عنهم العوادي وحطم الغزاة •

الإِسْلَامُ يُدْعُو إِلَى النَّقْدِ

قرر الاسلام أن لكل فرد في المجتمع الاسلامي ما يستحق من الاحترام والطاعة بقدر ما يتحمل من المسؤولية : وبقدر ما يتحلى به من صفات طيبة ، كالعقل والعلم والخلق ، ويعطى الاسلام أهمية كبرى للانسان كفرد وكفرد في مجتمع ، ويؤكد حاجته الى التقدم المستمر ، ولذلك يحرر طاقاته الخلاقة كلها ، فكرية وخلقية وعملية . لتتطلق في خدمة تقدمه كإنسان ، وفي خدمة المجتمع ككل ، دون السماح لعائق ما أن يقف في وجهه ويعارض بصفة خارجية العائق الطبقي الذي يحكم على الانسان باعتبار الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها ، ويجعل تقدمه مرتبطا بمواهبه وقدراته ومدى ما يمكن أن يقدم للمجتمع من خدمات، ومن هنا فان الاسلام لا يقر الامتياز الفردي كأساس لتقدير الناس وانما يعرف مقياسا أعمق وأصفي وأصدق : هو التقوى .

كذلك لا يعرف الاسلام القداسة والعصمة للبشر ، وهم سواء في التعرض للخطأ والصواب ، فالاسلام يضع الناس جميعا سواء أمام الاعتبار البشري ، ويرفع العصمة عن الانسان الا في نطاق ما يكلف به رساله لتبليغه من وحى الله الى الناس ، ولا يعرف الاسلام استعلاء طبقة باسم رجال الدين

ولا حكومة الهية ولا يفصل الدين عن المجتمع أو الاخلاق عن العقيدة .

قدرات الاسلام :

امتاز الاسلام بقدرات واسعة في آفاق عريضة : امتاز بالقدرة على معايشة الحضارات والمجتمعات والالتقاء بها ، كما امتاز بالقدرة على اجراء حركة التصحيح من داخله ورد الشبهات ومقاومة كل تحريف أو تحول في المجرى الطبيعي ، كما امتاز بالقدرة على فتح آفاق جديدة من خلال الأزمات التي تواجهه ، كما أتاحت له طبيعته الجياشة المرنة ابراز رجال أقوىاء مقتدرين على تجديد شبابه وبعث مفاهيمه الأصيلة ، واعدة صياغة فكره ، واستطاع دائما باقتدار تغيير الأوضاع الفاسدة ونقل الفكر الى الحياة ، ومقاومة الحكم الجائر والترف ومجابهة المتصدرين بكلمة الحق وانكار المنكر ، كما حث على الانتاج والتوسع والانفتاح على الآفاق .

والنظرة المنصفة للاسلام هي النظرة المستمدة من أصوله ومقاصده ، لا من تاريخه وتطبيقه ، فالتاريخ ليس مصدرا لتنهج الاسلام ، وليس ما في التاريخ الاسلامي ممثلا صحيحا لفهوم الاسلام في كل آن .

المعرضون وسماحة الاسلام :

ان أخطر المحاولات التي تحتاج الى الانتباه الوافر ، هي

محاولة وضع الاسلام في موضع تبرير القيم الغربية باسم سماحة الاسلام وانفتاحه وقابليته للاجتهد ومعايشة ظروف الأمم والحضارات .

وتجرى هذه المحاولة تحت اسم تطوير الاسلام أو تطوير الشريعة الاسلامية وبخاصة في مسائل الربا والمرأة وحدود السرقة والزنا والخمر .

ولا ريب أن الاجتهاد ليس منفصلا عن الكتاب والسنة ، وأن هناك قواعد كلية لا يجوز الاجتهاد فيها ، وأصول ثابتة في المعاملات لا تتغير بتغير الزمان وبخاصة في البيع والرهن والشفعة والهبة . وهناك مسائل فرعية يجوز فيها الاجتهاد .

وقد شاب الدراسات التي حاول أصحابها اتخاذ الاسلام أداة لتبرير تجاوزات الحضارة وانحرافاتهما فساد كثير ، وبأن فيها — عند محاولة الفكر الغربي القائم على شرائع وضعية — العجز عن فهم أصول الاسلام .

ومما يثار — وهو أحيانا ليس سليما — القول بأن الأساس في المعاملات هو رعاية المصلحة العامة أو حاجات الناس ، وهذا الرأي مخالف لمفهوم التشريع الرباني القائم على حكمة عليا أكبر من أن تكون المصلحة وحدها هي الموجهة له والمفسرة لآياته .

يفرق الاسلام تفريقا واضحا بين الأخلاق والتقاليد ، هذا التفريق يغيب عن بال كثير من الباحثين . أما الأخلاق فهي

القيم التي رسمها الاسلام وأقرتها الأديان أساسا والتي لا تتعرض للتحويل والتغير بتغير الزمان ، تلك القيم الثابتة الراسخة التي أثبتت أجيال البشر جيلا بعد جيل أنها مرتبطة بالسنن الطبيعية للحياة الانسانية ومرتبطة بالانسان من حيث تكوينه وحياته وهي ليست مرتبطة بالمجتمعات والعصور •

وقاعدة ثبات الأخلاق أن الحق واحد والخير واحد وأن كلا منهما لا يختلف ولا يتعدد ، وأساس الأخلاق هو التمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وسيظل كل منهما قائما على اختلاف الأزمنة والبيئات دون أن يتحول الخير الى شر ، أو الحق الى باطل مهما تعددت التفاسير والتأويلات •

هذا عن الأخلاق ، أما العادات والتقاليد فتلك سنن المجتمعات المرتبطة بالأزمنة والبيئات المتغيرة المتبدلة ، والتي يأخذ الناس منها ما يروونه صالحا ويردون منها ما يروونه زائفا •

ولقد كانت محاولة الاستعمار اعلاء شأن العادات والتقاليد وتمجيد العادات الموروثة والادخال في روع الناس أن لها قداسة من حيث تمثل تراث الأسلاف وبذلك عزلت مبادئ الاسلام وجمدتها وكان من خطر ذلك رفع شأن العادة الى مقام القيم الدينية •

ان من أخطر الدعوات التي يثيرها التبريب اليوم : الدعوة الى نبذ الماضي : التاريخ ، التراث ، وذلك يعنى بعبارة مغلقة : معارضة قيم الاسلام والتحرر منها ، هذه الدعوة تتحدث عن

المسلمات وعن الأساطير وعن الخرافات . والاسلام براء من ذلك كله ، وربما كان ذلك صحيحا بالنسبة لأهم أخرى ، أما فكر الاسلام فقد ولد في أحضان التوحيد . واستهدف تحرير النفس الانسانية والعقل البشرى من الوثنية والخرافة والأسطورة . واقامة منهج البرهان والعلم . وهو الذى أزاح عن كواهل الناس تحديات وهمية عن خطيئة يؤخذ بها الناس دون أن يكون لهم جرم فى وقوعها ، ولقد حرر الاسلام الناس من كل عمل لم يعملوه فأعلن انه لا تزر وازرة وزر أخرى .

ولذلك فهم يفرقون بين الدعوة الى نبذ الماضى اذا كان هذا الماضى - قريبا ملامقا - هو الاسلام ، بينما يدعو الى احياء الماضى البعيد السابق للإسلام : ماضى الوثنية . وعبادة النجوم والكواكب ، والمجوسية ، وتآليه البشر وحراع الآلهة .

الاسلام يجدد نفسه :

لقد عرف الاسلام القدرة الفائقة على تجديد نفسه واعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر أو أصابته دخائل حولته عن مجراه ، أو انتزعت منه جوهره ، ولقد كان الاسلام وسيظل كيانا حيا قادرا على التمدد والعطاء ، وقد كشف الاسلام عن طبيعته الأصيلة القادرة على النمو والتوسع ، دون ارغام ، وعلى التكيف مع المجتمعات ، وعلى الموازنة بين حيوات الناس وأفكارهم ؛ ومنذ ظهر وكل حدث مرتبط به على نحو من الانحاء

ولقد استطاع الاسلام حين امتحن بتحديات الصليبيين والتتار

أن يدخل أرضاً جديدة في جنوب شرق آسيا وشرق وغرب أفريقيا ، واقتحم قلوباً جديدة . فأضاف الى معتنقيه أضعافهم ، ومنذ انتشر الاسلام لم يتغلب عليه متغلب من الأديان ، وان تراجع عن الأرض فانه لم يتراجع في النفوس .

ولقد كانت الطريقة الوحيدة التي اختارها الاسلام للتحرر من الزيوف التي حاولت أن تقتحم أصوله الأصيلة من تحريفات وأساطير وتأويلات : هي العودة الى المصدر الأصيل والمنبع الأول والجوهر الرباني ، وهو (القرآن) لتحكيم الناس في ضوءه على كل ما بين أيديهم من أمور .

ولقد دعا الاسلام في منهجه الى انكار الظن ، والغرض ، والأسطورة ، والخرافة ، والوهم ، والهوى . وطالب بالدليل والبرهان .

ركائز الفكر الاسلامي :

· ان الأخطار التي تواجه الاسلام والفكر الاسلامي تقتضيها أن نكون على حذر دائم من مختلف التيارات والدعوات التي تحاول أن تغزونا أو تثير الشبهات حول قيمنا الأساسية ، وأن علينا دائماً أن نكشف عن الفوارق الدقيقة بين مفاهيم الفكر الاسلامي والفكر الغربي ، في كل المجالات ، ومفتاح الحقيقة في فكرنا يقوم على ركائز التوحيد والأخلاق والايمان بالغييب .

وعلينا دائماً أن نفرق بين المعارف والعقائد ، فالمعارف

انسانية عامة ، والعقائد خاصة وذاتية ، وكل أهم لها عقائدها
التي لا تنقلها الى أهم أخرى : أما المعارف فهي عامة وملك
للشريعة كلها •

اننا نؤمن بذاتية الثقافة وعالمية العلم ، وعلينا أن نداوم
غربة القيم . وما يتصل بها من مفاهيم المعرفة لنعرف العارض
والدخيل والأساسي . وعلينا أن نتحرر من نفوذتين : نفوذ
مدرسة تؤمن بالخرافات والاسرائيليات . ومدرسة تؤمن
بمذاهب المستشرقين والمبشرين في فهم التاريخ والدين •

وليس صحيحا أن الوثنية والمفاهيم الجاهلية كانت أساسا
أو مقدمة لحضارة الاسلام ، لقد صنع الاسلام مجتمعه من
جديد ، كانت في الجاهلية قيم الكرم والبطولة والمروءة ، موجهة
للفخر والمباهاة والمطامع الفردية ، فلما جاء الاسلام حولها الى
وجهة الحق وجعلها خالصة لله •

الْقُرْآنَ عَالِمِيَّ وَخَالِدِ

ان الانسان بلا عقيدة يفقد سبب وجوده ، ووجهة حياته ،
وعصمة امره ، ولا يعرف أول الطريق ، ولا نقطة الانطلاق ،
ولا مفتاح الهدى من الحيرة ؛ وحين تتشابه أمامه المسالك
أو تضرب أمامه المفاهيم .

نحن لا شيء بلا عقيدة . ولا نجاة من الانهيار النفسى
الا بعاصم ، ولا نجاة من حيرة الفكر الا بموقف . ولقد كان
الاسلام — وما يزال — دائما هو القادر على تجديد النفس
وهداية العقل . واعادة صياغة الحياة .

والأسلوب القرآنى عالمى وخالد . والأساليب الأخرى مرتبطة
بمصورها وبيئاتها : أسلوب الفلسفة ، أسلوب العلم ، أسلوب
المنطق ، أما الأسلوب القرآنى فان حصانته من كل زيف ، انه
يعتمد على الفطرة ، وينطلق من الغاية ، ويتسم بالانسانية ،
ويقوم على الدليل ، ويجانب الهوى ، ويطلب بالبرهان ،
وسيقبل وجهة النظر الأخرى اذا تبين أنها الحق ، ويتنازل
عن رأيه اذا عرف أنه باطل ، فهو بهذا أصدق المناهج ، وهو
الى هذا متكامل ، فيه وجدان النفس وبيان العقل ، ومنطق
التجربة ، وعبرة التاريخ ، ونظرة الوجود ، وخشية الله .

والأسلوب الحديث الموصوف بالعلمية هو أحد أساليب
التغيير ، لا هو كلها ولا هو خيرها ، ولا هو متحرر من أهواء
النفس أو رغبات الغرض .

وهو أسلوب يعايش فترة من الزمن ، كما يعايش غيره
فترات أخرى سابقة أو لاحقة ، فالسعى لفرضه على غيره
مخالف للطبيعة .

وإذا كان أسلوب الحديث علمياً فأى الأساليب : الرياضى أم
التجريبى أم الفلسفى .

ان الثقافة التى نقلت الى المسلمين من اليونان والاغريق لم
تكن صحيحة الأصول ، بل كانت محرقة ، حرفها السريان
والنساطرة لخدمة مذاهبهم ، ومن هنا كان فسادها واخطاها
أمرها ، مما حال بينها وبين أن تعطى الفكر الاسلامى شيئاً
إيجابياً .

ولقد كان الفكر الاسلامى قادراً على التقبل والتفتح ازاء
معطيات الفكر البشرى دون أن يخرج ذلك من أصالته أو يزيّف
جوهره .

وان أبرز ملامح الفكر الاسلامى أنه ثابت الجوهر متغير
الصورة ، هناك مقومات أساسية يقوم عليها جوهره تتيح له
دوماً القدرة على التلقى والامتصاص ، والانفتاح على الحضارات
والثقافات ، فهو يزود الثقافات بما عنده ويأخذ منها ويرفض
على قدر حاجته ومع محافظته على مقوماته الأساسية .

ولما كان لكل فكر طوابعه ولكل ثقافة ذاتيتها فان الفكر الاسلامى لا يعمل الا ضمن النطاق الذى رسمه القرآن وفى ضوئه .

ان أعظم منجزات الفكر الاسلامى التى تذكر له بالفضل والفخر ، هى قدرته على تحطيم قيد الاغريقية ، وتدمير قيد الهلينية ، حين حاولت ان تكبل الفكر الاسلامى أو تستوعبه .

وان الأمم حين تريد ان توائم بين ذاتيتها وبين روح العصر ، دون اذابة شخصيتها أو اضعافها فلن تجد معطيا أعظم من الاسلام ، فهو القادر على اغناء الفكر دون ان ينوب فى فكر أمة أخرى .

ان أخطر ما تدعو اليه مبادئ الاحاد والاباحية المستهتره تحت اسم الحرية : هى هدم ضوابط الأخلاق ، ذلك أن القوى المستتره تريد أن تلقن الأجيال دعوات الجنس والانحلال ، وتفتنهم بأن كل ما حرمه الدين مباح ، وهى لذلك تدعوهم الى الجنس عن طريق القصة ، ونوادى العراة ، وفلسفات علوم النفس والأخلاق والاجتماع مما تقدمه المدرسة الاجتماعية .

الاسلام والعلم :

العلم فى نظر الاسلام : حبة فى عقد طويل من جوهر الفكر الاسلامى نفسه ، فهى ليست مستقلة ولا منفصلة فالاسلام لا يفصل العلم عن الايمان ، فمعرفة قواميس الكون وقوانين

الطبيعة لا تنفى عن معرفة المصدر الأول والصانع الأكبر ،
الذى يمسك القوى كلها ويحركها لحظة بعد لحظة . لقد انفصل
الفكر العربى عن هذه القاعدة فواجه الأخطار والأزمات .

كذلك فالاسلام لا يفضل العلم عن صاحب العلم أو قائله ،
فلا يصل العلم الا من مصدر ثقة ، فاذا أصاب الريب حامل
العلم كان ذلك مدعاة للشك فيما يقول . والمسلم يتلقى مسائل
الطبيعة والحسنة والفلك والزراعة من كل حامل علم ولكنه
لا يتلقى العقيدة أو الفطرة الى الوجود والحياة الا من المسلم
المؤمن بالله .

ولقد دعا الاسلام الى اعادة النظر فيما اصطلح الناس عليه
من أنه نهائى ومطلق ، وكان له موقفه الصريح أمام الأسطورة
والخرافة والوهم والسحر ، ودعا الى الدليل والبرهان .

ولقد دعا الاسلام الى قبول العلم ، وتكثفه دعا الى تحريكه
داخل اطار التوحيد فليس حتما أن يقبل من أهل العلم طرق
معيشتهم أو أسلوب حياتهم أو طريقة تعاملهم مع العلم .

والاسلام يحرك منجزات العلم فى دائرة السلام والخير
والرحمة والعطاء لكل البشرية وليس لفئة خاصة منها .

كذلك فالاسلام يرى أن العلم يعجز عن كل المشاكل وهو
مهما تقدم فهو محدود ، وهو لا يستطيع أن يسد مكان الدين ،
وفى أمور هامة من أسباب الطمأنينة النفسية والسعادة لا يوجد
غير الدين الذى يسد الفراغ ولا يسد فراغ الدين أى شيء
آخر .

تكامل الفكر الاسلامى :

حين احتاجت المجتمعات الغربية الى وضع مناهج للحياة والاقتصاد والاجتماع كان ذلك حقا . لأنها لم تجد مناهج في دينها . فقد كان دينها روحيا خالصا ، علاقة بين الله والانسان ، مجموعة وديايا . واذك تعددت مفاهيمهم حول المال والانسان والمرأة والمجتمع . اما المسلمون فان لهم منهجا متكاملًا ، متسلا بفطرتهم جريه اسلامهم وسعدوا به . فلماذا يجربونه ويطلبون مناهج الذين ما زالوا يجربون دون أن يحلوا الى ما يسعدهم .

ولا ريب أن الفكر الغربي يسدر عن منطلقات قائمة على الهوى والغرض والعنصرية والاستعلاء ، فالانسان الأبيض هو تاج الخايقة . وأن له الغلبة في كل صراع . وهذا الانسان ينظر الى البشرية على أنها خادمة له ، وله حق السيطرة على مقدراتها . واستعبادها . وأن فكره هو الفكر البشرى ، وتاريخه هو تاريخ الانسانية ، ذك أمرهم وتلك تحديات فكرهم ، واذك فقد كانوا هم أولى (بأيدولوجياتهم) النابعة من مفاهيمهم والمختلفة في مظاهرها وأهدافها عن مفاهيمنا ، واذك فقد عجزت هذه المناهج والنظريات حين نقلت الى أفق العالم الاسلامى عن أن تحقق شيئا أو أن تنجح في استقطاب الفكر أو صناعة الحياة .

ومن الحق أن نقول ان الماركسية والديمقراطية ومفهوم القومية الغربية كل ذلك قد عجز عن أن يقدم للمسلمين والعرب ما يرضيهم ، واقيت صعبا شديدة في مواجهة الفكر الاسلامى

الذى يستمد مضمونه من منهج ربانى محكم فيه الثوابت والمتغيرات يلتقى بالانسان مع الفطرة والعقل والعلم ؛ ويساير الأزمان والبيئات دون أن تسيطر عليه التغيرات أو تقتحمه المناهج البشرية ، هذه المناهج التى سرعان ما يتكشف نقصها عن التكامل وقصورها عن معايشة الأزمان ، وعجزها عن العطاء الذى تتطلع اليه النفس العربية الاسلامية من خلال مفهومها الجامع المحكم الذى أهداها به الاسلام منذ أربعة عشر قرنا والذى مهما نحى عليها فهو قائم فى أعماقها .

الاسلام وتربية الارادة :

انما يدعو الاسلام أهله الى بناء الارادة واقامة الضوابط لأتھما مناط المسئولية الفردية ، فالارادة القائمة على الايمان بالله تكبح جماح النفس وترد الهوى وتلجم عنف الشهوات ، ولذلك جاءت دعوة الاسلام الى تربية الارادة وتقويتها ، وبناء قاعدة الكظم والمجاهدة ، والعمل على اتقاء شح النفس ، والانصاف من النفس .

والكظم هو قمة الدين ، وهو معارضة صريحة لدعوة العصر فى الانطلاق بلا حدود ، والمجاهدة تعنى السير ضد تيار الأهواء والمطامع والرغبات المذلة .

وتقوم الارادة الحرة على الأخلاق ، ولقد دعا (لامارك) الى الارادة الحرة ورفضها (دارون) فأيدت التلمودية (دارون) واستهدفت فرض الجبرية على البشرية .

ولقد دعا الاسلام الى الارادة الحرة بعد أن بين طريق الخير وطريق الشر ، وجعل الاختيار من حق الانسان ، وعليه أن يحتمل تبعته في السلوك والجزاء . وكانت رسالات الرسل بوحى السماء تستهدف تبليغ هذا الهدف الى البشرية . وفي الانسان قوة مريدة فعالة : في هذا الكون تحرك التاريخ وتغير الواقع ، وهي ارادة محدودة داخلة في ارادة الله العليا ، ولذلك يرفض الاسلام تفسيرات بعض الأديان بما يسمى الجبرية اللاهوتية التي تقول ان الانسان ليس له ارادة وأنه مسير لا مخير ، وما يتحمل بها من مذاهب المدرسة الاجتماعية الحديثة، فما كسبته أيدي الناس هو عملهم والتحمل من تبعته باطل .

نظرة الاسلام الى القيم :

المفهوم الاسلامي يقرر أن لكل قيمة وجهين متكاملين غير منفصلين : ماديا ومعنويا ، عقليا ونفسيا ، ودينويا وأخرويا ، ثابتا ومتغيرا ، لا انفصال بينهما ، بينما يقرر المفهوم الغربي أن لكل قيمة وجهها واحدا فهو اما مادي واما معنوي ، والمعنويات كلها توضع في حساب الغيبيات التي تعامل معاملة المفقود لا الموجود .

ان هذا المفهوم الاسلامي الجامع قد يعجز العقل الغربي حين يرتاد البحث في الفكر الاسلامي ، أو حين يطالع المسلم ثمرات الفكر الغربي دون أن يكون عارفا بأصول فكره .

ومن هنا يعجز المستشرقون والباحثون الغربيون عن استيعاب

الفكر الاسلامى حيث يجدون من طبيعة فكرهم الجزئية الانشطارية ما يحول بينهم وبين سعة النظرة الى الأبعاد للواسعة ، فاذا كان هؤلاء ليسوا على قدر من فهم للبيان العربى فى اللغة والمضمون عرفنا الى أى جد تتعثر نظريات المستشرقين والباحثين الغربيين حول مفاهيم الاسلام والفكر الاسلامى .

فالاسلام لا يفصل بين القيم ، ولا يعزلها بل يعارض انشطارها ويرى تكاملها . ومن أخطر ما يوجد الصراع فى الفكر العربى هذه النظرية التى تقسم القيم الى أخلاقية تقوم على أساس الوجدان والنفس ، وعلمية تقوم على أساس العقل والفكر ولا سبيل الى فرجهما ، كذلك ففى العرب اليوم أزمة الثقافتين : العلمية والأدبية ولعل هذا أيضا هو مصدر الصراع فى النفس الغربية التى تعلق من شأن الوجدان فى الوجودية وتعلق من شأن العقلانية فى المادية وبذلك تقوم أزمت التمزق والضياع والقلق . كذلك هناك إعلاء مفهوم الطعام فى مذهب (ماركس) وإعلاء مفهوم الجنس فى مذهب (فرويد) ، أما الاسلام فيقبل ذلك كله فى نسب مختلفة ، ويجمع بينه فى تكامل ويضع الضوابط والقواعد حتى يلتقى بالنفس الانسانية والقطرة البشرية .

الحضارة الاسلامية :

أول خطوة الى أية حضارة هى العقيدة والقيم الموجهة، والأخلاقيات التى توجه السلوك ، وفى الاسلام لا يتنافى الدين مع التقدم ، والتقدم ليس ماديا صرفا ، بل هو مادى ومعنوى ،

بمعنى أن العبرة ليست بالتفوق التكنولوجى أو المعطيات المادية، بل العبرة بإقامة الفكرة والعقيدة .

فالاسلام يضع الضوابط ضد حركة العمل فى مواجهة الربا، ويضع الضوابط ضد حركة الرغبات فى مواجهة التحلل ، وليس فى الاسلام حرية الاقتصاد التى تسمح بالربا ، أو حرية الحياة بمعنى حرية الغريزة وانطلاق الشهوات .

ان هذه المحاولات التى ترمى الى تصوير الرغبات بأنها غرائز لا سبيل لابقائها ، أو التى ترمى الى القول بأن تكوين المجرم البشرى هو مصدر اجرامه ، أو تلك التى تهدف الى اعلاء المزاج النفسى على العقل ، كل ذلك لا يقره الاسلام .

ذلك أن ارادة الانسان ومسئوليته هى القادرة على حمايته من دوافع الرغبات وأن ما نسميه غرائز فقد ثبت أنها انما هى ميول لدنه يمكن توجيهها أية ناحية وان ٩٩ فى المائة مما نسميه غرائز — كما يقول علماء النفس — انما هى اتجاهات اجتماعية قد غرسها فينا المجتمع برجوع انعكاسية مكيفة ، فالمجرم يرتكب جريمته بعبادات ذهنية وعاطفية واجتماعية وليس بغريزة موروثه .

ولقد ثبت ان كل ما حاول التحليل النفسى التخويف به من توجيه الأبناء خشية ظهور العقد هو باطل ، وان ما قيل عن الكبت هو غير ما يراد بمعنى اعلاء الرغبة فى ظلمفهوم الاسلام الذى يقررها أساسا ثم يربطها الى وقت القدرة على الزواج وانشاء الأسرة الطبيعية .

من مميزات الإسلام

يقيم الاسلام قاعدتين اساسيتين : الثبات ، والتوازن •

أما الثبات فهو الاطار ، والحركة قانون تعرف به ولكنها لاتجرى في فراغ وهي ليست حركة مطلقة من كل قيد فهي حركة في فلك ومدار لا يتجاوزه • ويعطن الاسلام ثبات قيم كثيرة هي الأخوة البشرية ، والعدل ، والجهاد ، وتحريم الربا ، والالتزام الخلقى ، والمسئولية الفردية • ويعطن ثبات الأخلاق (الخير والشر والحلال والحرام) ويعطن ثبات الحدود ازاء الخمر والقتل والميسر والزنا كذلك فالاسلام يقيم التوازن بين النفس والجسد ، والعقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا والآخرة •

ويرتب الاسلام للقيم سلما ، ويضبط نسبها ودرجاتها ، ويجعل على رأسه التوحيد والعبادة والعمل والانفاق والجهاد والمباحات والمنوعات •

زيف النظريات الغربية :

ان النظريات الغربية الوافدة هي استجابة لتحديات مجتمع بعينه ، له مشاكله وأزماته وقيمه وعقائده ، وقد قامت هذه

النظريات على مقياس ذلك المجتمع ، ومن خلال واقعه ، فهي خاصة به ، ليس لها كمال النظرة أو شمولها لمجتمع آخر ، أو لظرف مغاير ومختلف ، هذه النظريات المطروحة الآن في أفق الفكر الاسلامي مصوغة في اسلوب براق له طابع علمي زائف يخفى ما وراءه من تناقض واضطراب ، وقد طرحت هذه النظريات بعد أن مهد لها بايجاد منطقة فراغ نفسى وعقلى في الدراسات ومناهج التعليم أتاحت لمثل هذه المذاهب أن تجد مكانا ، هذا بالاضافة الى يسر تداولها والحفاوة بنشرها واذاعتها ، وقد أثرت هذه النظريات في الكثيرين وانحرفت بهم عن الفطرة والاصالة ، ومفهوم الاسلام الصحيح ، غير أن هذه النظريات لم تلبث أن فقدت بريقها واستطاعت مراجعات المفكرين المسلمين لها أن تكشف زيفها وأن تبين الفرق العميق بين مناهج القرآن وبين مناهج الفكر البشرى ، وكيف أن مناهج القرآن ثابتة بثبوت الفطرة وقائمة على أساس معطيات النفس الانسانية في رغباتها ومطامحها . وفي عجز هذه النظريات عن الاستجابة وقصورها عند جانب واحد .

واقدم ظهرت هذه النظريات في الغرب خلال هذه المرحلة :مرحلة انحلال هذا المجتمع وأزمته ووقوعه في أنياب الأزمة الطاحنة ، أزمة الاحتواء الصهيوني التلمودى للفكر الغربى المسيحى وسيطرته عليه .

فعلى المسلمين والعرب أن يتنبهوا الى هذه المخاطر التى تواجه فكرهم وان يتيقظوا للمذاهب الهدامة التى تصاغ فى نظريات تدور حول العقيدة والنفس والأخلاق والمجتمع ، ولا بد أن تجد

**النفس العربية الاسلامية فطرتها وأصالتها ، وأن تستمد وجودها
ومنهجها من مصدرها الأصيل القادر على اعطاء البشرية هدايتها
ونورها .**

ما زلنا نواجه الزحف الذى انطلق فى القرن السادس عشر
بأساطيل البرتغال من الغرب وخبول المسكوف من الشرق لتطويق
العالم الاسلامى ، انها الحرب التى بدأها ولم تنته بعد ، وكانت
الصهيونية فى ركاب الاستعمار تابعه ووريثه .

لقد حملت هذه الموجة معها محاولات لفرض نظم فى الاقتصاد
والسياسة تختلف عن طبيعة الأمم وقيمها ، ولقد كشفت التجارب
المتعددة حاجة الأمم الى المادة والنظر فى تلك المناهج الوافدة .
كما حملت معها القانون الوضعى الذى جرى تطبيقه بديلا
للشريعة الاسلامية ، ثم ظهر من عيوبه ونواقصه ما كان بعيد
المدى فى افساد الحياة الاجتماعية مما دعا المصلحين الى التماس
مصادر تشريعاتهم من القرآن ، كما حملت معها محاولات اسقاط
أسس وقيم وفرائض كان لاسقاطها أبعاد الأثر فى تعجيز المسلمين
والعرب عن مواجهة أخطار الغزو الخارجى ، كما عمدت مناهج
الغرب الوافدة على اسقاط فريضة الجهاد . كذلك جرت
المحاولات لتحريف التاريخ والنصوص الأساسية ، على نحو
استهداف انفساح الطريق لاقرار مفاهيم زائفة حاولت الصهيونية
اقرارها ، كالتشكيك فى رحلة ابراهيم عليه السلام الى الحجاز
وبناء الكعبة مع اسماعيل عليه السلام . كما جرت المحاولات
لاضافة أشياء ليست أصيلة مثل الاسرائيليات التى حفلت بها
كثير من كتب التفسير ، كذلك جرت المحاولات لادخال التأويل

في التفسير بما يبرر الواقع أو يتخذ من الاسلام سلاحا لتأييد
مذهب ما أو أيولوجية مختلفة عنه تمام الاختلاف . ولقد وضع
الغزو الفكرى التلمودى الصهيونى منذ وقت باكر فى دراسات
متعددة : منها مايتعلق باليهود فى جزيرة العرب ، ومنها مايتعلق
باللغات السامية وفيها ما يحاول قطع الصلة بين الحنيفية دين
ابراهيم وبين العرب .

لَا عِبَادَةَ إِلَّا لِلَّهِ

ان النظرة الفاحصة للتاريخ تكشف عن أن الاسلام قدم للبشرية يوم جاء حقيقة ذات ثلاث شعب هي : (١) التحرر من ظلمة العبودية البشرية الى الاخاء الانسانى (٢) التحرر من ظلمة الوثنية الى توحيد الله (٣) التحرر من ظلمة الجهل الى الحضارة والمدنية .

وبذلك كان الاسلام فيصلا بين عهدين وعلامة بين عصرين حين اهدى الانسانية حقيقة التحرر من الظلمات الثلاث . فلقد كانت البشرية من خلال الحضارات الأربع القديمة السابقة للاسلام (الرومان — الفرس . الهند — الفراعنة) غرقى في نظام عبودى قاس ، قوامه جماعة من السادة فى الأعلى ينعمون ويترفون ، وأهم من العبيد تساق بالسياط وترمى أمام الأسود وتقدم للوحوش المفترسة بالمئات عقابا لخطأ واحد منها ، وأبرز صورة العبودية تراها عند أرسطوا ، وأفلاطون ، وسقراط شيخهم . والصورة المثلى فى جمهورية أفلاطون (الجمهورية القائمة على النظام العبودى) دفاع عن العبودية وعن الرق وعن حق أصحاب السلطان فى القتل والابادة ، فاذا انتقض عبد على سيد سمح للسيد بالانتقاص على جميع العبيد ، واذا ساد العبد فسيظل

عبدا مهما أوتى من سلطان السيادة • وهناك صورة ليكرجوس
مشترع أسبرطه وهو يطالب بقتل آلاف الأطفال الضعاف •

في هذا الجو العاصف المتجهم من القسوة والظلم يجيء
الاسلام فيقرر أنه لا عبودية إلا لله وحده ، ثم يعلن الاسلام
قاعدة جديدة تتطلق ولها دوى مهيب وصدى رهيب : حين يقرر
وحدة البشرية كلها « كلكم لآدم و آدم من تراب ليس لعربى على
عجمى ولا أبيض على أسود من فضل الا بالتقوى » •

حين أعلن الاسلام أنه لا تفاضل بين البشر الا بالجهد والعمل
والكفاية ، وأنه ليس لانسان على انسان سيادة أو تمييز ، حطم
منذ ذلك اليوم والى أن يرث الله الأرض ومن عليها — حطم
مفهوم السيادة العنصرية القائمة على الدم الخاص والأرومة
الخاصة ، وأوقف الكبير والصغير أمام الحق سواء • وصدق
رسول الله (كان الناس قبلكم اذا سرق فيهم الشريف تركوه
واذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، أما والله لو أن فاطمة
بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) •

بذلك حرر الاسلام البشرية من العبودية وكذلك حررها من
الوثنية بالدعوة الى توحيد الله وحده ، فليس هناك من خالق
ولا من رازق غير الله ، وكذلك أطلق التوحيد العقل البشرى
والنفس البشرية من القيود التى كانت تأسرها حول الأصنام
والأوثان فارتفعا الى مستوى الاعتقاد بحياة أخرى وراء
هذه الحياة •

كذلك حرر الاسلام البشرية من الجهل ودفعها الى التحضر

حين دعا القرآن الى النظر فى الكون والبحث فى الأرض والبحر واكتشاف سنن الله فى الطبيعة فكان المسلمون هم الذين بدأوا هذا العمل فاستقام لهم فأنشأوا المنهج التجريبي الذى نقل البشرية من المنهج النظرى اليونانى القائم على التأمل والمنطق ولما جاء المسلمون مسحوا أخطاء بطليموس وأرسطو وعمدوا الى التجربة وتركوا آثارهم فى كل فنون المعرفة .

ان تسلط النزعة المادية على الحضارة قد خلق وثنية جديدة هى أخطر من الوثنية التى جاء الاسلام للقضاء عليها . والوثنية عبارة عن عبادة الجسد . وهى اليوم عبادة المال ، وعبادة القوة ، وعبادة السلطان . وعبادة العلم ، وعبادة الحضارة ، وعبادة العنصرية ، وعبادة اللذة والترف والرفاهية .

ان معنى الوثنية أن يخلق الانسان لها يعبده ، ويتخلى عن عبادة الله الحق . ان التلمودية اليهودية قد سيطرت على الفكر الغربى فنقلته الى عبادة العجل الذهبى والمال ، وسيطرت عليه لبناء « امبراطورية الربا » .

ان العلم الذى هو معبود الغرب اليوم قد عجز عن أن يقدم للبشرية حلا لأزماتها ومشاكلها ، فما سوى المتاع المادى فانه لم يحقق شيئاً ، أما النفوس فهى تواجه أزمة خطيرة خانقة، هى أزمة الضياع والتمزق والانهار .

العالم ليس مادة فقط ، وليس علما وعقلا فحسب ، ولكنه الى ذلك روح ووجدان وقلب وعاطفة . ولطالما استطال القوم بالقول بأنهم تسلطوا على القدر ولم يخضعوا له . وانهم انتزعوا

من الطبيعة خيرا ولم ينتظروها حتى تسديه اليهم ، ولكنهم
نلوا عن أن كل ما يتحدثون به ثمنه هو المادة والمادة وحدها .
وغفلوا عن أن هناك عالما آخر ، وعلماء آخر لم يعرفوه وقد
حرموا منه لأنهم أنكروه .

الغزو الثقافي

جرت محاولات كثيرة في ادبنا المعاصر ، جريا وراء مخططات التفريق والغزو الثقافي . لتدمير الشخصيات النابغة في تاريخنا وفكرنا ، وبخاصة تدمير المتنبي ، وابن خلدون ، وابن تيمية ، والغزالي كما جرت نفس المحاولات لاعلاء شأن أبي نواس ، وبشار ، الحلاج ، حتى أن مستشرقا أمضى حياته كلها يجمع أخبار الحلاج ويكتب عنه الفصول الطوال والقصار .

وذنب هؤلاء الإعلام من مفكرينا في نظر المبشرين والمستشرقين أنهم وقفوا أمام الفلاسفة اليونانية ورفضوا الفلاسفة الالهية التي تقوم على التعدد والوثنية .

ولقد كانت مواقف الغزالي في مهاجمة الباطنية وعلم الكلام وأخطاء الفلاسفة في التوحيد مقدمة لما قام به (ابن تيمية) من بعد ، حين هاجم المناطقة ومنطق أرسطو بالذات ، وكشف عن أن للمسلمين منطلقا مستمدا من القرآن ، ويمكن رد أول هذه المحاولة الى امامين جليلين هما : الشافعي وابن حنبل ، الأول : حين وضع علم الأصول ، والثاني : حين وقف في وجه محنة خلق القرآن ، فلما جاءت نظرة الامام ابن تيمية كان قد تكامل تحزر

الفكر الاسلامى من قيد الفلسفة اليونانية . وهذا هو « الشر الكبير فى نظر الغربيين والذنب العظيم الذى يدفعهم دائما الى الحملة على الرجلين العظيمين ، أما ابن خلدون فانه قد سبق أعلامهم بخمسة قرون الى مفاتيح علم الاجتماع والاقتصاد والتاريخ . أما المتنبى فقد كان شموخه واعتزازه بالبطولة الاسلامية مصدرا للحملة عليه حتى ألف (بلاشير) كتابا ضخما حاول فيه هدمه وتدميره .

بين الاسلام ودعوات التغريب :

كان من أحرص ما عمدت اليه دعوات التغريب اثاره تاريخ ما قبل الاسلام والاذاعة به وتوسيع البحث فيه وذلك عن طريق البعثات الأثرية ، وانبعثت الدعوات الفينيقية والآشورية ، والبابلية والبربرية ، وذلك من أجل تفريق العرب والمسلمين عن وحدتهم العربية الاسلامية واعادتهم الى ماضيهم الوثنى قبل الاسلام واعلاء هذا الماضى وتزيينه . وكان للكشوف الأثرية التى حرص النفوذ الاستعمارى على استغلالها أبعد الأثر فى دعم هذا الاتجاه . غير أن دعاة هذه الدعوات فشلوا ولم يحققوا شيئا وعجزوا عن أن يفضلوا واقعا قائما بالحق والتوحيد خلال أربعة عشر قرنا كاملا ، وذلك هو الاسلام الذى كون العقلية والنفسية والمزاج العربى الاسلامى والذى يغاير مغايرة كاملة ما دعت اليه هذه الدعوات السابقة التى قامت على الوثنية والاحاد والاباحة بينما قام الاسلام على منهج ربانى قوامه الفطرة السليمة ، وقد تقبلته هذه الأمم منذ اليوم الأول وأسلمت له وتحررت من وثنيتها واصارها القديمة ، وما تزال هذه الدعوات

تتجدد لتغرى المسلمين والعرب بالخروج من قيمهم ومزاجهم
النفسي ، ليصبحوا عجينة طيبة في يد العالمية والأممية التي تريد
أن تصهرهم في أتونها الكبير ، فلا يصبح لهم كيان خاص
ولا شخصية متميزة . لقد كان الاستعمار والتغريب والصهيونية
والماسونية والتبشير على اهتمام موحد واتفاق متحد في
الاهتمام بالدعوات القديمة التي كانت قبل الاسلام ، وهي كثيرة ،
ومنها الدعوات الفرعونية والبابلية والوثنية وغيرها بما تحمل
من أساطير وخرافات وسحر وأوهام ، وهي تحاول أن تجدها
اليوم في صورة جديدة من القصص ، والمسرحيات لتكون عامل
اغراء للشباب يستهدف تدمير القيم الاسلامية ، وإعراضة
التوحيد ، والنبوة ، والدين الحق .

مُعْجِزَةُ الْقُرْآنِ

من أهم عوامل القدرة على مواجهة الحرب النفسية التي يشنها أعداء العرب والاسلام ومقاومتها : الحفاظ على اللغة ، والتاريخ والتراث .

ومفهوم المسلمين عن اللغة العربية أنها لغة دين قائم على أصل خالد هو القرآن الكريم ، فاللغة العربية هي لغة العرب وهي لغة الاسلام نفسه ، وقد كانت معجزة القرآن أن جميع الأمم التي تتكلم العربية وتفكر بها تجمعها وحدة فكر وتربطها أسرة ايمان واحد . ولا ريب أن القرآن هو الذي حفظ اللغة العربية ، وسيبقى هذا النموذج الخالد دائما قمة البيان العربي ، ومن المستحيل أن يظهر عمل من صنع الاسلام يفوقه بيانا واحكاما أو يحل اليه أو يقترب منه ، ذلك لأن تفوق القرآن ليس من صنع البشر ولا من قدرتهم .

أما التاريخ فقد كان مفهوم الاسلام له أنه تحقيق ارادة الله في الأرض . وبناء نظام عملي كريم ، وما من دين استطاع أن يوحى الي المتدين به شعورا بالعزة كالشعور الذي يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع ، وان اعتزاز المسلم بحينه كما يقول بعض مفكرى العرب يعم المسلم على اختلاف القومية واللغة ،

وأن المسلم لا يفهم الاسلام حق الفهم الا اذا أدرك أنه أسلوب حياة تصطبغ به معيشة المسلم ظاهرا وباطنا •

أما التراث فإنه الميراث الحي المتصل بالحياة والمجتمع خلال أربعة عشر قرنا لم ينفصل ولم تنقطع به طريق أو حدث أو حائل من حوائل التاريخ أو الحضارة •

أمة الجهاد

ان الصوت الصادق الأصيل الذي ارتفع في السنوات الأخيرة
بالقول بأنه لا بد من عودة فريضة الجهاد الى حياة المسلمين مرة
أخرى كهوة اجتماعية وسياسية هو صوت الحق ، وضوء الحق
الى الطريق الصحيح المستقبل الاسلامى والعربى كله ولأمد
بعيد •

بل انها الحقيقة التى اذا ما وضعها المسلمون موضع التنفيذ
فانهم لن يقعوا فى أزمة الغزو وتحديات الأخطار التى تحاول أن
تحيط بهم وتمزقهم وتقضى على قيمهم ومقومات فكرهم
ومجتمعهم •

ان أمة الجهاد لا تستطيع أن تحيا حياة صحيحة الا اذا
وضعت هذا الهدف موضع التنفيذ ولقد شهد تاريخ المسلمين
خلال أربعة عشر قرنا بأنهم ما تخلفوا وما أصابهم الوهن الا حين
أهملوا هذا الركن الركين من حياتهم وفكرهم •

وليست فريضة الجهاد قتالا ، ولكنها وقاية من غزو الأعداء ،
انها هي الرابطة في سبيل الله • الرابطة الدائبة التي لا تتوقف
على الثغور وحول الحدود في يقظة وقوة طلبا للشهادة • انها
هي الصبر والمصابرة والجهاد بالأموال والأنفس واعداد العدة
والقوة التي تجعل العدو يفكر ألف مرة قبل أن يقدم :

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون
به عدو الله وعدوكم) •

ولقد قدم الاسلام للعرب المثل الأعلى للحياة المثلى والمجتمع
الأمثل • ان العرب بالاسلام كل شيء وهم بغير الاسلام عالة
على فتات الموائد •

خُطْوَةٌ عَلَى الطَّرِيقِ

ان نسوءا جديدا يبدو من وراء الأفق ، ويتشكل الآن في النفس العربية يدفعها الى اتجاه أصيل يعيد اليها بناء فكرها ومجتمعها على أساس من شرعة السماء ، ويدفع موجة التحديات الفكرية . ويكشف عن الشبهات والأخطاء . ويمكنها من امتلاك ارادة الأصالة وتصحيح المفاهيم ؛ كل هذا يؤكد أنه خطوة على الطريق الصحيح الى المواجهة القادرة بالايمان العميق لاستكمال النظرة بشمول الرؤية وتحرر النفس والعقل العربيين وخروجها من دائرة التغريب التي تحاول أن تقصرها على التفكير بمقاييس زائفة . ذلك أن الخروج من هذه الدائرة المغلقة هو أول علامات النصر الحقيقية ، وهي تعنى التماس المنابع والأصول والخروج من الزقاق الضيق الذي حبس التغريب فيه الفكر الاسلامي ما يزيد على نصف قرن من الزمان .

غير أن الخروج من دائرة التغريب انما يستلزم الدخول الى دائرة الأصالة والثبات فيها ، وتأكيدا وبناء قلاعها وحصونها التي تدافع بها عن وجودها وحياتها ازاء تجدد الغزو ، واثارة

الشبهات والحملات الخسارية من دعاة التخريب والتبشير
والاستشراق والشعوبية .

يقول أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب :

انما تتخفى عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ في الاسلام
من لم يعرف الجاهلية ..

وما أعتقد ان كلمة يحتاجها عصرنا هذا ويجب ان ننظر فيها
وتعمقها مثل كلمة الفاروق ، فاننا قد نرى بعض التحولات
الخطيرة في فكرنا ومجتمعنا ، ثم لانجد ازاءه اهتماما أو وعيا ،
ظنا أن ذلك من الأمور اليسيرة التي قد تذهب وقد تجيء ،
بينما لو اننا تعمقنا النظرة لوجدنا انها محاولة من محاولات
ضرب القواعد الأساسية لفكرنا القائم على التوحيد ، وان
هناك فوارق دقيقة بين الحق والباطل وبين الوثنية والتوحيد
وأن تنقلنا حثيثا من نقطة الى نقطة ومن تنازل عن أشياء ربما
رأيناها يسيرة في مظهرها ، الى تناول آخر ، وآخر ، ولذلك فان
صورة الجاهلية يجب أن تكون واضحة بما فيها من وثنية
وانحراف يتضاد مع الحق ، والتوحيد ، والايمان .

ولذلك فان علينا أن نؤمن ايمانا عميقا ، وأن نعمل دائما على
التعرف على الأبعاد الواسعة لقضية فكرنا الاسلامي ، وأن
نكشف أولا بأول كل الشبهات والزيوف التي تتناول أن تجعل
من نفسها مسلمات أو حقائق ..

اليقظة اليقظة . وخذوا حذرکم ..

تفصيل باسم العلم :

من أخطر محاولات التغريب أن يفرض لنا منهجا معيناً في البحث تحت اسم العلم ثم لا نجد هذا المنهج مطبقاً في بلاده ، ولا بين أهله . ومعنى هذا أنه منهج مستحدث للمستعمرات وبلاد الاسلام التي يراد أن يقضى فيها على الذاتية والكيان . ومن أمثلة ذلك قواهم في التراث : انهم يحاولون بكل وسيلة العمل على فحسب الأجيال الجديدة في الثقافة عن القديم ، فالأدب العربي الحديث في دعواهم أدب منفصل نشأ في العصر الحديث وارتبط بالحماة الفرنسية ؛ ومعنى هذا ان خيطه ليس متصلاً بالأدب العربي الاسلامي في عصوره الممتدة ، وكذلك ما يسمى (الفكر العربي) وهو فكر نشأ في ظروف الاتصال بالغرب وأوربا . ولذلك فهو منفصل تماماً عن الفكر الاسلامي وعن المصادر الأساسية من اللغة والعقيدة والتاريخ ، وبينما تجرى النظريات الواقعة لاقرار ذلك في أفقنا نرى أن الغربيين لا يؤمنون بالانفصال بين الحاضر والماضي في تراثهم أو فكرهم أو أدبهم . فهم لا يرون في الحديث شيئاً له قيمة الخلود والبقاء الا اذا كان ثمرة وامتداداً بالروح والمعنى للأدب اليوناني الاغريقي الهليني القديم ، ولا يرون الفكر الا مرتبطاً بالحضارة الرومانية وقانونها ونظامها . ويحدث هذا فكراً وتراثاً انفصلت عنه أوربا ألف سنة كاملة بينما لم ننفصل نحن عن أبنائنا وفكرنا يوماً واحداً . وهم يطرحون علينا مناهج للترجمة تقوم على تعرية الأبطال واثارة نقط الضعف فيها بينما يقصدون أبطالهم ويسبغون عليهم حلة من الزهو والبراعة والفن ، فإذا عرضوا لمواقف الضعف التمسوا لها العذر وخففوا أثرها وبرروها ، لماذا ونحن المقلدون في كل شيء لا نقلد الغرب في هذا المنهج .

الأخلاق والتقاليد :

من صور التموية الخطيرة التي تحتاج الى تنبيه وتذكرة :
احلال التقاليد محل الأخلاق ، والأخلاق من أصل الدين ،
والتقاليد من صنع المجتمعات ، والأخلاق ثابتة والتقاليد متغيرة ،
فلقد حرص التغريب على ايجاد التداخل بين الأخلاق والتقاليد
رغبة في ازاحة الأخلاق واعلاء التقاليد ، تحت قصور مفهوم
الاسلام ، وذلك يتطلب منا يقظة ووعيا حتى نعرف الفرق بين
القيم الخالدة التي هي مصدر القوة وركيزة المجتمع السليم ،
وأن نزيل تلك التقاليد البالية التي أفسدت حياة المسلمين وزيفت
ملامحهم الأصيلة وحولتهم الى أشباه وثنيين وكهّاديين •

ولقد كانت دعوة الاسلام وكلمة الرسول حاسمة في التفرقة
والوضوح وعدم تقليد الأمم الأخرى في مطاعهم وملابسهم
وأسلوب عيشهم ، في الموت والفرح والعيد وغير ذلك ، ومازلنا
في حاجة الى هذا الوضوح ، وضوح الشخصية الاسلامية
وتفردما ، هذه الشخصية التي بناها القرآن وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قدوتها المثلى وأسوتها الحقة •

[وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا] •

فلنحرر أنفسنا من التقاليد ، ولنصل أنفسنا بالأخلاق ،
ولنعرف أن كل ما تتحرك في اطاره مذاهب العلوم الاجتماعية
والتحليل النفسى في الغرب انما هي التقاليد ، ذلك لأن هذه
المجتمعات قد فرقت بينها وبين أخلاق الأديان منذ عهد بعيد ،
ولذلك فهي ترى أن التقاليد تتطور وتتغير ونحن نرى معها

ذلك ، أما الأخلاق . أخلاق الدين فانها ليست كذلك ، انها ثابتة ثبات قيم الاسلام نفسه .

مارسه الاسلام للانسان المسلم :

رسم الاسلام للانسان المسلم صورة جامعة ذات أبعاد أربعة :

إذا استوفى منها بعدا أو بعدين أو ثلاثة ظل مع ذلك في حاجة الى أن يستكمل أبعاد شخصيته المؤهلة بالكمال الى استشراق الملائ الأعلى .

(أولا) : عقيدة صحيحة تقوم على علم صحيح متحرر من أوهام النحل أو أوهام المذاهب القديمة . قوامها مفهوم القرآن الذي كان رسول الله مطبقا له ، ليس مفهوم العقل وحده ولا الوجدان وحده ولكنه المفهوم الجامع لهما .

(ثانيا) : عبادة كاملة صادقة الاخبات لله أوقاتا وفرائض وحسن أداء مع التوسع والقدرة على النافلة وصلاة الليل .

(ثالثا) : خلق كريم : طهارة لسان وقدرة على احتمال الأذى والكلمة المسيئة دون تطلع الى انتقام أو ظلم .

(رابعا) : قدرة على الانفاق في الله مع توقي شح النفس بالعطاء ودون ما استعلاء أو من .

ولا بد من تكامل هذه العناصر الأربعة في شخص المسلم قدر
المستطاع ، فيكون الخلق في اطار العبادة ، ويكون الانفاق في
اطار الايمان مع الترابط الكامل •

ومن هنا نفهم عبارة القرآن الكريم : « قولوا أسلمنا ولما يدخل
الايمان في قلوبكم » ان الخطأ هو التفريق بين العبادة وحسن
الخلق ، أو بين العلم والعبادة ، أو بين الشريعة والعبادة •

ان أعظم ما جاء به الاسلام : هو افراد العبودية لله ،
والتفرقة الواضحة العميقة بين الالهية والنبوة من ناحية وبين
الله والعالم من ناحية أخرى ، وبين الخالق والمخلوق من ناحية
ثالثة • وسيدنا رسول الله هو أعظم بنى البشر جميعا ، ولكن
الله سبحانه وتعالى نوه بتقديره في اطار واضح هو أنه بشر
رسول • وحرص رسول الله دوما على أن يقف الناس عند هذه
القاعدة الأساسية فلا يجاوزونها ، حتى أنه يوم كسفت الشمس
وتصادف وفاة ابراهيم ابنه خرج مسرعا ليحدث الناس أن
كسوف الشمس ظاهرة يذكر الله بها عباده ، وأنها لا علاقة لها
بموت أحد أو حياته • ولقد أفرد الله سبحانه وتعالى
نفسه باستجابة الدعاء « واذا سألك عبادى عنى فانى
قريب » وأن عظمة سيدنا محمد ومعجزته الكبرى وهو القرآن
ليست في حاجة الى مزيد من تخيل أو اضافة معجزات أخرى
مما ليس واردا في القرآن أو السنة الصحيحة • ونحن المسلمون
نلتزم ما فعله رسول الله ولا نتق الا بما جاء في القرآن والسنة
ولقد دعانا القرآن الى الحق وحده ، والحق يكفى ، وان قدر
رسول الله ليس في حاجة الى مزيد منا بعد أن وصفه الحق

تبارك وتعالى بأعلى ما وصف به بشر حيث قال « وانك لعلى خلق عظيم » •

العلم والأخلاق :

ظن أهل الغرب أن العلم سيكشف لهم أسرار الكون ويجب على السؤال الخالد : لماذا جئنا وما هو هدفنا في الحياة ؟ غير أن العلم لم يلبث أن تواضع بعد استعلائه وأعلن أن مهمته لا تعدو تفسير الظواهر وقدم تعريفا واضحا محددا ، هو دراسة أشياء هذا العالم بالملاحظة والتجربة لمعرفة خواصها وطبائعها واستخراج القوانين والنظريات المتعلقة بها ، أما في مجال النفس الانسانية ومهمة الانسان في الحياة وما وراء الظواهر ، فقد أعلن أنها ليست من مهمته ، وبذلك وضح أن هناك لونا آخر من المعرفة هو الذى يهدى الانسان الى أسرار الوجود والحياة ، ذلك هو الدين الحق الذى قدم عن طريق الوحي منهجا كاملا عن هذه الحقيقة ، وكشف عن العلاقة بين خالق الوجود والانسان ، وبين الناس بعضهم بعضا ، وأبان عن مهمة الانسان في الحياة ومسئوليته وجزاءه بالثوبة والعقاب بعد البعث والنشور ، ولكن الانسان ما زال عاجزا عن التلقى وقد بلغ به توقفه عن معطيات العلم المادى وحده أن أصابه التمزق والانفصام والقلق ، وما يزال الانسان فى أزمتة حتى يعرف طريقه الى الله ، كذلك فان تقدم العلم لم يضمن ارتقاء الأخلاق ، بل أدى الى عكس ذلك ، وليس مسئولية ذلك على العلم ولكن على الحضارة التى أخذت معطيات العلم منفصلة عن ضوابط الأخلاق •

الإسلام مُسْتَدْمِنٌ ذَا نَبِيٍّ

ان المذاهب الوافدة لن تستطيع أن تستوعب أصول الاسلام ومفاهيمه لأنها لا تستهدف ذلك أساسا ولو حاولت أن تقصد اليه لعجزت بأدواتها القاصرة ، وهناك في الغرب كثيرون فهموا الاسلام عندما تحرروا من مذاهبهم والتمسوا منابع الاسلام نفسه وأصوله الأصلية ، فعلى المسلمين أن لا يخدعهم بحث الباحثين في دينهم وعليهم الا يتلقوا منهم تلك المفاهيم المسمومة التي يراد بها أن تردهم الى مفهوم غربي قاصر للاسلام ، يجعله على مستوى التفسيرات الناقصة ، ويحد من سعته وعمقه ، ولا يستطيع استيعابه وفهم العبادة . ذلك أمر يحول بين الاسلام وبين رسالته الحقة التي يستمدّها من ذاتيته المفردة الخاصة وان اشترك مع الأديان الأخرى في مقاومة المادية أو الإلحاد ان محاولة « احتواء » الاسلام انما تتمثل في أساليب كثيرة منها هذه المحاولة التي يقدمها الاستشراق لفهم الاسلام ، على أنه دين عبادة وهو ليس بدين عبادة ولكن العبادة جزء منه ، وعلى أن القرآن كتاب كتبه محمد ، وهو ليس كذلك ، فهو الكتاب الوحيد الباقي على الأرض المنزل من السماء عن طريق الوحي والذي تكفل صاحب الدين بحفظه وبيانه . وهناك الى جانب ذلك ، المفهوم الغربي المتضارب بين

النبوة والالوهية وفي الاسلام هناك وضوح كفلق الصبح يحجز
بين الالوهية والنبوة فلا يختلط الأمر فيها أبدا .

على شبابنا المسلم أن يفتح عينيه جيدا ليرى ، فلا يغرته
بريق الحرام ، ولا يغرته كثرة الخبيث ، وليعلم أن الحق
دائما مع الجانب الأضعف والأقل ، وأن الباطل دائما وسيظل
في زهو واستعلاء ، خاصة في هذا العصر الذي بلغت فيه
الحضارة المادية الوثنية أقصى غاياتها كمقدمة لانحلالها ودمارها
السريع .

ولتعلم أن اصحاب الأهواء هم دائما قادرين على اعطاء
ما يلزم وما يثير الطائفة ، ولكنهم لا يقدمون أبدا ما يسعد
النفس أو يعطي الأمن ، وإنما الذي يعطي الأمن هم أهل الحق ،
المتابعون لكتاب الله . وسوف نجد مع هذه الأهواء البراقة
أذى كثيرا ، سنجد تمزقا وقلقا وشكا ، ذلك لأنها تجافي الفطرة
الانسانية ، فاذا استطعنا بالارادة والايمان والخوف من سوء
الجزاء أن نرد نفوسنا فسوف نجدنا على طريق الحق .

ان النفس الانسانية تحب أهواءها وتظن أن فيها السعادة ،
ولكن سعادة النفس الحقة انما تتحرك في دائرة الضوابط التي
أقامها الاسلام حتى لا يقع صاحبها فريسة للهزيمة والدمار .

ولقد أعطى الاسلام المسلم كل مطامحه ورغباته المادية في
اطار من الحكمة والحماية حتى يظل قويا صامدا ، فلننظر الي
هذه البضاعة المزجاة المطروحة في سوق الفكر نظرة أشد عمقا
وعند ذلك نجدها بضاعة ضالة .

الايان بالغيب :

وسع الاسلام أفق المعرفة فجعله شاملاً لعالمى الشهادة والغيب جميعاً ، ولم يقصره على المرئيات وحدها ، وجعل مصادر المعرفة فى عالم الشهادة :

السمع والبصر والفكر ، وفى عالم الغيب : النبوة والوحى والوجدان • ويجمع الاسلام بين الايمان والمعرفة ، ولا يجعل من أحدهما مضاداً للآخر ، ويرفض الاسلام الاقتصار على مفهوم المعرفة القائم على الحس والتجربة ، ويضيف اليه علم النبوة الذى جاء عن طريق الوحى وسجله القرآن ، وفيه تفصيل كل ما يتصل بعالم الغيب والجزاء والآخرة •

ومن هنا جعل الاسلام الايمان بالغيب شرطاً أساسياً من شروط الاسلام •

وأبرز مفاهيم الاسلام الوضوح الصادق ، حيث لا تأويل ولا غممة ، وحيث لا يحمل اللفظ أكثر مما يطيق أو يؤدي أكثر من معناه ، وحيث الحق حق والباطل باطل ، وليس بينهما شىء ، فلا يكون الشىء حقاً وباطلاً فى نفس الوقت •

ويقوم ذلك المنهج على أساس استعمال العقل المؤيد بالوحى ، وينطلق من خلال معالم أساسية وبديهيات قوامها أن الجزء أقل من الكل ، وأن المتضادين لا يجتمعان ، وأن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين فى وقت واحد •

ان تأثير القرآن الكريم في المسلمين لا ينقطع ، وفي العرب لا يتوقف ، لأنه مصدر المنهج الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والتربوي والقانوني لحياتهم الفردية والاجتماعية ولا ريب أن تحرك الفكر الاسلامي انما يجرى في نطاق القرآن واطاره ، فاذا خرج عنه وقع الحرج ، هذا الحرج لا يرتفع الا اذا عاد المسلمون الى التماس منهج القرآن . ولقد كان التأويل من أخطر الأسلحة التي استعملت لتفسير النصوص ، تفسيراً يخرجها عن مدلولاتها الأصلية الى مدلولات ومفاهيم متحرفة ، ولقد حذر القرآن من هذا الخطر ، وأولى الرسول صلى الله عليه وسلم اهتماما كبيرا لهذا الأمر ، حتى لا يقع المسلمون في محاذير تخرجهم عن أصول دينهم الجامعة الواضحة .

وهناك محاولة زائفة لهدم قدسية النص الاسلامي القائم على القرآن والسنة بالفصل بين الأدب والفكر ، وبين العروبة والاسلام وبين الدين والمجتمع ، وبين الشريعة والأخلاق ، وبين العبادة والدولة وهو فصل عسير ، لأنه يرمى الى تدمير أعظم قوى الاسلام وهي التكامل الجامع الذي يربط بين القيم ويجعلها من قوة واحدة .

الْقُرْآنُ وَوَحْيُ إِلَهِي

ليس الوحي انطباعا في نفس محمد صلى الله عليه وسلم •

فهناك فارق عميق وواضح بين نظم القرآن وكلام سيدنا محمد ، فلنحذر خطأ القول بأن القرآن فيض من العقل الباطن وليس وحيا الهيا ، حتى ليقول بعضهم : أليس الأفضل الاشادة بعبقريّة محمد والمعيتة وصفاء نفسه بنسبة القرآن اليه ، ومن الحق أن يقال ان الله قد أشاد بنبيه بما لا تستطيع البشرية كلها أن تصفه به ، ولكن مع المفهوم الصحيح :

« قل انما أنا بشر مثلكم يوحي الى »

ان الهدف هو قطع الصلة بين المسلمين والقرآن ، فانه ان كان القرآن كلام محمد فهو من عمل البشر ، ومن هنا يفقد معناه الاسمي وينتهي أمر الاجماع عليه ، لقد كان محمد أميا لا يقرأ ولا يكتب ، فمن الذي أطلعه على أن ما في القرآن مصدق لما في التوراة ، حتى يتحدى به اليهود ؟ لقد كان علمه بشئون قومه لا يزيد على علم غيره ، فمن الذي أطلعه على قصص الأولين ؟ •

ان من أبرز شبهات الاستشراق الغربى اليوم حجب مفهوم
الوحى والنبوة ومحاولة تصوير الرسول الكريم على أنه مصلح
عظيم استعرب فكر عصره ، وذلك وهم باطل يساير المفهوم
المادى الذى يقصر عن فهم تلك المعجزة الكبرى التى حققت
قيام دولة الاسلام الكبرى •

الاستعصام بالقرآن :

ان أمة شكلت وفق منهج القرآن الربانى وصيغت عليه قرونا
طويلة ، من العسير عليها أن تلتبس منهاجا آخر قد كونته أمم
أخرى يختلف مع عقيدتها ويتباين مع مقومات حياتها ، ذلك
أنه من خلال هذه المناهج الوافدة يتوزع فكر الأمة ويختلف
هدىها وتضيق أكبر مقومات القوة والصمود : وهى وحدة
الفكر التى هى مقدمة الوحدة الكبرى للأمة كلها •

ومن هنا كانت ضرورة الحذر من مدارس الارساليات
ومعاهدها وجامعاتها والحذر من مناهجها فى التربية والتعليم
التي تسرب السوموم الى الصحافة والثقافة العامة ، وان مفهوم
التحرر من التقليد الأجنبى يعنى بالضرورة تصحيح مادسته
الشعوبية ودسه التغريب حول الاسلام والقرآن واللغة العربية
والشريعة الاسلامية من شبهات وسوموم ، وتنقية المفاهيم
والقيم من الشوائب والأخطاء ، ولاسبيل الى ذلك الا بالاستعصام
بالقرآن ، فهو المصدر الأول والأكبر لحل جميع المتناقضات ،
وهو العامل الأقوى لامداد الفكر والأمة معا بالأصول الأصيلة
والحلول الصادقة التى تعصم حياة المسلمين من الاضطراب

والتمزق • ولا سبيل الى اقامة وحدة فكر الا بتوحيد مصادر
التربية والتعليم : ان وحدة التعليم هي اساس وحدة الفكر
والثقافة جميعا •

• خطر ان يواجهان الشباب المثقف : وكلاهما مر •

• أما أحدهما : فهو كتب موضوعة ومكذوبة •

• وثانيهما : كتب الوجودية والجنس والأدب المكشوف •

وأبلغ الخطر هو محاولة بعض المستشرقين ودعاة التغريب
اعتماد مثل هذه الكتب التي ألفت في فترة الضعف والتخلف
كمصادر لدراسة الاسلام ، أو المجتمع الاسلامي ، أو الاستشهاد
بكتب المحاضرات والفكاهات •

أما كتب « الأصول » التي ألفت في العصور الأولى وحملت
لواء الفكر الاسلامي الأصيل فقد حاول بعض أعداء الاسلام
وصفها بالكتب الصفراء حتى يعزف عنها الناشئة والمثقفون •

• ان نظرة صحيحة الى القرآن الكريم تكفي في هداية المسلمين
الى التراث الأصيل والتفرقة بينه وبين التراث الذي وضعه
عصور التخلف والضعف •

وهذا هو الطريق الوحيد الى تحرير النفس العربية والعقل
العربي من جميع أخطار الزيف •

دعوة كاذبة :

ليس تخلف المسلمين مرده الى الاسلام الا من حيث هو انحراف من المسلمين عن أصول الاسلام ، أما الاسلام في حقيقته فهو مصدر تقدم المسلمين ونهضتهم وحضارتهم التي اتسعت آفاقها حتى شملت العالم كله ، وان محاولة أعداء الاسلام القول بأن التخلف في عالم الاسلام يعود الى الاسلام — انما هو قول يكذبه التاريخ نفسه ، وتزرى به نصاعة أصول الاسلام وحقائقه في ايجابيتها وارتباطها بالفطرة ومرونتها وتقبل العقل لها . ولقد كان الاسلام قادرا على اعطاء المسلمين القوة التي تمكثهم من مراجعة أنفسهم وتعرف أسباب ضعفهم والتماس عوامل اليقظة من المصادر الأصلية لفكرهم ، وقد كان جوهر الاسلام في بساطته ويسره وشموله وتكامله من أكبر عوامل اليقظة في المراحل التاريخية المختلفة ، وأداة النصر في الأزمات والمواقف الحاسمة .

وما زال الاسلام قادرا على العطاء لمن يلتزم منهجه وطريقه وسوف يظل المسلمون في حيرة ما تجاوزوا منهجه ومانكبوا طريقه ، ان القضية اليوم ليست في أن يعلم المسلم عقيدته أو يكتشف أسباب ضعفه فهو يعلم ذلك جيدا ، وانما القضية اليوم هي بناء الارادة القادرة على العمل ، حتى تسترد العقيدة فاعليتها وقوتها الايجابية وتأثيرها الاجتماعي .

لائقنة فى علم بلا عمل :

من أهم مميزات منهج الاسلام فى المعرفة : التفرقة بين المعارف الجوهرية والمعارف غير الجوهرية التى ليس لها قيمة الا أن تكون للزينة أو لنوع الحديث .

وفرق الاسلام بين العلم النافع والعلم الزائد عن الحاجة ، ودعا المسلمين الى أن يأخذوا من كل علم بما هو نافع ، وأن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه ، وأعلن الرسول أن العلم كثير ، فخذوا من كل شىء أحسنه ، وهو لذلك انما يركز على أهمية الاجتهاد ، ورفض التقليد ، والبحث عن البرهان ، وقبول الدليل ، وتغيير الراى دون حرج متى تبين أن غيره أصح منه .

لقد ربط الاسلام بين العقيدة والتطبيق ، وقرن العلم بالعمل ، ورفض مبدأ العلم لذاته ، وقرر أن العلم انما يطلب من أجل العمل به والافادة منه فى تحسين الحياة وتقديمها ، وكشف عن أن الطبيعة البشرية مزودة بقدرتين : قدرة نظرية تقوم على تحصيل العلم ، وقدرة عملية تقوم على تعريف العمل ، ولا بد أن يمتزجا ويتكاملا ، ولا ريب أن فقد القدرة العملية يعوق التقدم الانسانى ويحول دون تحقيق نماء المجتمع .

ومنذ أربعة عشر قرنا كانت دعوة الاسلام الى المطابقة بين الكلمة والسلوك .

أحمد بن حنبل والفلسفة اليونانية :

حينما نعاود بالنظرة السريعة موقف الامام أحمد بن حنبل وصموده في وجه الفلسفة اليونانية نجده رائداً مازال عسرنا في حاجة الى الالتقاء به واتباعه ، فقد وقف في اصرار أمام الفتنة خلال سبعة عشر عاما ، لا يتردد ولا يتراجع ، وهو ينتقل من سجن الى تعذيب الى امتحان بعد امتحان دون أن يقتنيه ذلك شيء عن كلمة حق يرددها : « اعطوني شيئا من كتاب الله وسنة رسوله » .

لقد وقف سدا منيعا في وجه الخطر الذي كادت تنزلق فيه الأمة الى الوثنية الفلسفية التي كانت تيارا عاصفا كاسحا ، يريد أن يقطع صلة هذه الأمة بالاسلام ، ومحمد والقرآن ، وصهره في بوتقة التعريب والشعوبية الضالة المضلة .

يقول له أحد أصحابه : انما انت تثقل نفسك .

فيقول له : اخرج فانظر ، فيخرج فيجد الجموع تقف في الساحة وفي يدها الأقلام والاوراق ، تريد أن تكتب ما يقول أحمد بن حنبل ، فيرجع فيقص عليه فيقول ابن حنبل :

هل أغش هؤلاء جميعا وأخدعهم ؟ ليس الى ذلك من سبيل ، ولقد كشف الله النعمة وانجايت المحنة ، ورفع ذلك القول الذي ليس له سند من كتاب ولا سنة ، وعادت رايات النصر والظفر تطلق فوق رأس أحمد بن حنبل ، فما زاده ذلك إلا تواضعا ولاغيره عن طريق اتخذه ، ولا ازدهى ولا طمع في شيء مما

قدم له • ذلك لأن أحمد بن حنبل كان قد شكّل نفسه على نحو
من الزهادة والصبر والصمود ، مما مكن كيانه الانساني الواحد
من أن يحمل جهد عشرات الرجال الذين تهزم أقل الصدمات
فتتهار قواهم •

الاسلام ومستولية التناصح :

من أبرز مسؤوليات الاسلام مسئولية التناصح : التواصي
بالحق والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وهو حق
كل مسلم على كل مسلم) ، وهي دعوة لا تجد لها اليوم نصيرا ،
فقد حاولت الخطط التعريبيية أن تصور الناس أحرارا فيما
يأخذون وفيما يدعون ، لباسا وكلاما وزينة وتصرفا ، ودعا
أصحاب المذاهب الاجتماعية الى ترك الشباب والأبناء دون
توجيه ، وحاولوا الوقية بين الآباء والأبناء ، فنشأت أجيال
نكره الكلمة النافعة وتعتبرها قيذا ووصاية ، وقد كان الأولى أن
يأخذ المسلمون بأسباب الاسلام وأساليبه في التربية ، فيقيمون
بينهم وبين أبنائهم والأجيال الجديدة صداقة وودا يجعل
الرابطة الفكرية والثقافية والوجدانية قائمة وملتصدة دون
تحديات أو عقد •

حَمِيَّةُ تَعْرِيبِ الْعُلُومِ وَالْكَتْلُوجِيَا

لا بد أن تفتح اللغة العربية أبوابها لاستقبال العلوم والتكنولوجيا بمختلف فروعها وأنواعها ، وهذا شرط أساسى لقيام نهضة حقيقية ، فلا بد أن تنصهر هذه العلوم فى بوتقة اللغة التى هى فكر الأمة ووعاء ثقتها وثقافتها ، ذلك أن مفهوم المسلمين للعلم وتطبيقه جد مختلف عن مفهوم الغرب ، فنحن نؤمن بأن العلم للانسانية كلها واذك فنحن نحوطه بالقيم الاخلاقية ونجريه فى دائرة التقوى الاسلامية فلا يكون الا سلاما وأمنا وسعادة ونورا للبشرية كلها .

ومن أبرز الأخطاء أن نفصل بين اللغة والفكر ، أو أن نفصل بين اللغة العربية بوصفها لغة أمة وبينها كلغة فكر وعقيدة وثقافة لأكثر من سبعمائة مليون مسلم ، وان ما تورده علوم اللغات لا ينطبق على اللغة العربية لذاتيتها الخاصة التى أعطاهها القرآن ، فلم تعد بها لغة قوم لهم حق التصرف فيها .

وهناك دعوة ضارة الى مهاجمة الفصاحة العربية والخطابة والشعر العربى فى محاولة ترمى الى احياء العاميات وطبعها بطوابع التراث وهى دعوة تستهدف غرضا خبيثا يهدف الى

فصل المسلمين عن مستوى بيان القرآن ويعمل على زلزلة وحدة الفكر الجامعة التي تضم المسلمين والعرب من خلال الفكر الاسلامي ذي التراث العتيق والميراث الأصيل ان أخطر الأخطار التي تواجه المسلمين والعرب اليوم هو تحركهم في مواجهة العدو من داخل دائرة الفكر الذي رسمه التبشير والاستشراق والتغريب والذي يقسرهم الاستعمار على التحرك فيه .

ان أخطر التحديات مع العدو هو مواجهته بمفاهيم وافدة وقيم ليست مستمدة من أصالة الاسلام ومفهوم القرآن .

ان النظر الذي كسبه المسلمون في « حطين » في مواجهة الصليبيين انما كان مصدره الأول انهم تحركوا من خلال قيمهم ومفاهيمهم . ان أخطر ما منى به المسلمون في العصر الحديث انهم انسحبوا من قاعدتين كبيرتين وحصنين عظيمين : هما الجهاد والشريعة الاسلامية .

لأن للمسلمين والعرب مثل أعلى يستمد وحيه من روح الله ، ان قانون المعركة الفاصلة بين المسلمين وأعدائهم لا يقوم على القلة والكثرة ، وانما يقوم على الثبات وذكر الله مع التماس كل أسباب النصر ووسائله المادية المتاحة .

وان تجربة العاشر من رمضان هي تجديد لمفهوم الاسلام في مواجهة العدو .

أثر العرب في حضارة الفندب

إن هناك حقيقة يحاول الفكر الغربي أن ينكرها أو يتجاهلها أو يقلل من قدرها ، وهي حقيقة هامة لأنها ذات أثر نفسى بالغ ، فضلا عن أثرها التاريخى البارز ، تلك هى أن المسلمين هم الذين وضعوا المنهج العلمى التجريبي الذى تقوم عليه الحضارة الحديثة ، وأن المسلمين لم يقبلوا المنهج النظرى اليونانى لأنه كان منهج حضارة عبودية يختلف عن مفاهيمهم وقيمهم ، ولذلك فقد تحركوا من خلال القرآن الى انشاء منهج جديد هو المنهج التجريبي ، وقد شهد بذلك (بريفولت) و (درابد) و (بيكون) وغيرهم من كبار أعلام الفكر الغربى •

وأعلن أكثر من باحث أن المسلمين سبقوا فى معطيات كثيرة مفكرى الغرب ، سواء فى مجال الاجتماع أو الاقتصاد أو التطور أو السياسة سبق ابن خلدون كلا من (سميث) و (هيجل) ، كما سبق المعرى (دانتي) وسبق ابن مسكويه (دارون) وسبق الطرطوشى ميكافيللى كل فى فكرته وميدانه ، ولقد ظل الغرب ينكر أثر المسلمين فى حضارة الغرب أكثر من ثلاثمائة سنة حتى جاء من كشف عن أثر العرب فى كل العلوم التجريبية والكيميائية والطبيعية ، فضلا عن الطب والفلك ، ولم

يجد الغربيون أمامهم بدا من الاعتراف بعد أن قال عالمهم الكبير : أن ابن الهيثم من أعظم علماء البشرية على الإطلاق واعترف نابغهم أن ابن خلدون أول من وضع أسس الاجتماع وفلسفة التاريخ .

الكاتب الصادق ومصدر قوته :

انما أوتينا من قبل الكتب اللامعة والأسماء البراقة ، فلنكن على حذر منهما ، ان نصاعة تاريخ الكاتب وصدق انتمائه الى أمته وفكرها هو مفتاح الثقة به ، لنكن على ايمان كامل بأن الكاتب الصادق يستمد قوته من الحق ويستمد مظهره من تراث الأنبياء والأئمة الأبرار ، ويكون في دعوته وهدفه وكتاباته مطابقا لتوجيه القرآن « لتبيننه للناس ولا تكتمونه » :

ولا يشترون به ثمنا قليلا ، وهو لا يجب أن تشيع الفلاضة في الذين آمنوا ، ولا يكون أبدا أداة لتزييف الحق ، أو تضليل الناس ، أو اعلاء شأن الأهواء ، أو خداع القارئ بالعناوين البراقة والكلمات اللامعة : كالفكر الحر ، والانطلاق ، ونسبية الأخلاق ، وحتمية التطور !! وأول علامات الصحة في حكمنا : أن نحاكم الفكر نفسه بالاخلاص والايمان وأن الكاتب المقدورين لدينا ، الأثيرين عنا ، لناخذ منهم ونتلقى عنهم : هم الذين عرفوا بنصاعة الصفحة ، وسلامة الفطرة ، والولاء الخير ، خير هذه الأمة وفكرها وقيمها الأساسية .

ان من أكبر الخطأ : قول القائل «قلب عربى وعقل أوربى»

ذلك اننا في الحق نؤمن بقلب عربي اسلامى وعقل عربي اسلامى أيضا ، لا تفرقة بين العقل والقلب ، ولا سبيل لأن يسير احدهما في نهج مخالف للآخر ، ولا بد أن ينسجما معا في طريق : هو طريق التوحيد والايمان والأخلاق على النحو الذى رسمه القرآن وقام عليه الاسلام .

فان كان المقصود بالعقل الأوربى : علوم الغرب الحديثة فاننا حين نأخذها انما نأخذها بالعقل العربى الاسلامى ومن خلال دائرة فكرنا الأصيل ذى الجذور العميقة التى لا تتحول أمام أى ظاهرة مستحدثه لتخرج به عن مقوماته ، والذى شارك قديما في صناعة العلم ، وأنشأ المنهج العلمى التجريبي .

اننا في الحق لا نحتاج من الغرب الا للعلم وهو نتا- شاركنا فيه وكان لنا دور عميق في انشائه وبنائه ولا نأخذ الا بمفاهيمنا الجامعة بين الايمان بالعلم طريقا الى الخير والحق والعدل وخالصا لله تعالى .

أما القلب العربى فلن يكون قلبنا حقيقة الا اذا كان اسلاميا وعربيا معا ، فيه المروء العربىة تحرك في ضوء الخلق الاسلامى ودوافعه ومراميه .

تحديات ثلاثة خطيرة واجهت المسلمين في العصر الحديث :

(أولا) التحدى المنبعث من واقع المسلمين الفكرى ، وقد بدأت أول صيحة في حركة اليقظة الاسلامية المعاصرة على

يدى الامام محمد بن عبد الوهاب وكانت منطلق مختلف الأعمال التي قام بها المصلحون من بعده وحتى اليوم .

(ثانيا) أنتحدى المنبعث من داخل المجتمع الاسلامى نتيجة الاحتلال ويتمثل في التسعوية ونفوذ التبشير ومدارس الارساليات ومناهج التربية والتعليم التي اخرجت الاسلام من العقل والقلب المسلم وفتحت امامه طريقا واسعا لتقبل كل الأوهام والاهواء .

(ثالثا) التحدى الخارجى ويتمثل في التغريب ومناهجه ودعوته ومن ورائه الاستشراق ليملا الفراغ الذى تركته مخططات الاستعمار في تفرغ التربية والتعليم في العالم الاسلامى وقد تظاهرت الحركتان الاستشراقية والتبشيرية على هذا العمل .

التشاؤم طابع غربي :

ان طابع التشاؤم الذى يسود الأدب الحديث هو طابع غربى محض ، وهو دخيل على الأدب العربى والفكر الاسلامى، ويرجع التشاؤم في الفكر العربى والأدب الغربى الى عدم الاقتناع العقلى بورثة البشر جميعا لما يطلق عليه اسم الخطيئة الأصلية ، لقد ساد الوجدان المتشائم في الغرب نتيجة لهذه القضية ، وظهرت آثاره القوية على الآداب والفنون والفلسفة والأخلاق .

وفي ظل هذا الاتجاه السوداوى المتشائم ينتشر على أوسع

نطاق في عالم الغرب أفكار عن (لا معقولية الحياة) و (عبث الوجود) حتى أصبح المفكرون المتشائمون يشنون هجمات هستيرية على كل فكر معارض .

ويرى الباحثون اليوم أن (الوجودية) هي أعلى أطوار فلسفة التشاؤم ويرد البعض ذلك الى الماركسيه التي انقلبت على صانعها الانسان وأصبحت وحشا مدمرا يحاول أن يقضى على عقله وقلبه ويحيله الى أداة طبيعة له .

يقول باسبرز : ان التقدم العلمى الذى يعد صعودا بالنسبة للبشرية من حيث هي بشرية هو هبوط وانكاس لأخلاقيات الانسان

أَهْلُ اللَّهِ

ان أهل الله لا يشغلهم جهاد العدو عن جهاد النفس ،
ولا جهاد النفس عن جهاد العدو ، فهم لا يلوذون بشغاف
الجبال ليقفوا عن مجاهدة نفوسهم ، ولكنهم يندفعون في غمار
القوم يخاهدون بالكلمة : ويقولون مع الأول : فناء الصوفى .
فى الله وفنائى فى خلق الله • وهم يرون أن الاسلام لا يكمله
مفهومه الا بمجاهدة النفس مع الخلق فى العمل والمعاملة ،
وهم يندفعون الى القتال وقد باعوا ارواحهم مؤمنين بأن طلب
الموت هو أقرب طريق لأن توهب لهم الحياة • أن أهل الله
لا ينسلخون من الجماعة وانما ينسلخون عن مطامع الج
ورغائبها • فهم يعبدون الله بالالتحام فى الحياة والعمل -
والتعمير وفق المنهج الربانى ، للوصول الى عزة المؤمن الذى
يقيم المجتمع الصالح المتحرر من الأهواء والأوهام والمطامع •

ان الالتزام الأساسى للسائرين الى الله ليس هجرة الدنيا

ولا عزلة عنها ، ولكنه تجرد عن الأهواء . واستعلاء على الآثام .
ان تسليم الأمور لله وإخلاصها له لا ينفى ارادة الانسان
ومسئوليته عن عمله ، والايامن بالجزاء الأخرى ، فهو ليس
تسليما من نوع الجبرية الضالة ، ولا انكارا للارادة جريا
وراء الأهواء .

انما الصلاة والايامن اعداد للمسلم لأن يكون أهلا للحياة
في العالم الآخر وصولا الى الجنة ، وان لاداء الصلوات في
أوقات معينة كلمة عليا لها ارتباط بالزمن وتقدير لله وفضله ،
وان في الزام المسلم بأداء الصلاة في هذه الأوقات سر يتصل
بارتقائه الروحي والنفسي بحيث نعهه لأن يكون مؤهلا
للحياة في الجنة ، فأيات الله وعبادته من شأنها أن ترفع
الانسان الى المقام الذي يحقق له الريانية ، بينما انصراف
الانسان عن ذكر الله وعبادته هو بمثابة اخلاذ الى الله وقصور
عن الارتفاع فوق الأهواء والمطامع ، بما يحجب الانسان
عن المنزلة التي تؤهله للفوز في الآخرة .

ولا ريب أن هدف الحضارة الأول : ومطمع الانسان الأكبر:
هو طمأنينة النفس وسكينة القلب ، وهو هدف تعجز عنه
الحضارة ولكنه متحقق في عبادة الله والايامن به ، ولا ريب
أن كرامة الانسان هي في احساسه بأنه مرتفع فوق مطالب

البدن وضرورات الغرائز وان كل معطيات الله له موجهة لله :
وفي سبيل الله ، هذا هو المعنى الأعلى الذي يتطلع اليه
الانسان ليكون أهلا للجائزة .

الفكر الإسلامي يواجه التحديات

مازلنا في مد النفوذ الغربي « استعماراً وحضارة » وكل المحاولات للتخلص من هذا النفوذ أو التخفيف من آثاره ما تزال غير قادرة على إيقاف موجة المد المتعالية ، بل يمكن القول ان الموجة الآن في أعلى ذراها وفي أسوأ مراحلها ، بالنسبة للعالم الاسلامي الذي انضغط بين حجر الرحا المتمثل في الصراع الغربي الصهيوني المادي وكان العالم الاسلامي هو هدف الغزو لأمرين :

(أولاً) حتى يستغل الغرب كل مقدرات العالم الاسلامي ويبنى بها دولة الرفاهية .

(ثانياً) حتى لا يقف هذا العالم مرة أخرى على قدميه في مواجهة الغرب ومن هنا عمد الغرب الى تمزيق الخلية الواحدة ، والحيلولة دون عودتها مرة أخرى الى وحدتها .

ولقد استطاع الفكر الاسلامي باصالته وقدرته على الدفاع عن قيمه أن يواجه هذه الموجة بخسرات ابرزها حركة تصحيح المفاهيم و اعلان تكامل الفكر الاسلامي بمختلف عناصره

بفساد النظرية التي تريد أن تعيده الى عصور الضعف
والتخلف . وما زالت هذه الموجة في حاجة الى المواجهة الدائبة
للقوف في وجه الشبهات المثارة بالعمل دوماً على تصحيح
المفاهيم ، وكشف الزيوف ، وشجب المؤامرات . ودحض
الشبهات .

ان من يتدبر الآية الكريمة : « بعثنا عليهم عبادا لنا أولى
بأس شديد » يعرف بجلاء أن المسلمين اليوم — على ما هم
عليه — لا بد أن يملوا بمجاهدة كبيرة حتى يندمجوا على
مستوى الايمان والكفاية لمواجهة الخطر الذي يتهددهم ،
ذلك أن تنازلات كثيرة قد سلم بها المسلمون في الماضي حتى
وصلوا الى هذا الموقف الخطير . ولا بد أن يستعيدوا أمرهم
بالتماس المنابع الأصلية لفكرهم وعقائدهم . وسوف يجسبون
على مستوى القدرة والمسئولية في وقت قصير . أما اذا فتح
الله لهم هذا الباب من ابواب الخياء والنور وعرفوا أنهم انما
يدورون الآن داخل دائرة المفاهيم الواغدة التي فرخت عابهم ،
أذن لا بد لهم من الاندفاع بقوة للخروج من دائرة التغريب
والالتقاء في دائرة الأحالة ، فان مفاهيم الاسلام وقيمه هي
وحدھا التي تفتح الطريق الى النحر . وتدفع المسلمين الى
تبين الضوء الكاشف والسبيل الصحيح . أن عباد الله أولى
البأس الشديد الذين سيحققون سنة الله في الكون التي
لا تتخلف هم أولئك الذين يعتصمون بالقرآن ويستمدون منه
هدىهم وعقائدهم ، وقد أصبح هذا الفهم مقرا اليوم في
العقول ويجب أن يكون قد أصبح الطريق الوحيد الذي
لا طريق غيره .

ان أول الجهاد الدفاع عن روح الاسلام في أرضه ووطنه ذلك أن روح الاسلام اذا ضعفت في المسلمين فقد برئوا من رحمة الله ورضوانه فقد أخذ عليهم العهد بأن يحملوا الرسالة ويبلغوها للناس ويصححوا المفاهيم ويكشفوا الزيف يوما بعد يوم . وعلى الباحثين أخذ العهد بأن يبينوا للناس ولا يكتفوا . من أجل أن يتغلغل حب الاسلام في قلب كل مسلم لا بد من المعرفة اذ كيف يتغلغل هذا الحب لشيء نجمله ، ولا بد من استتشاف الطريق الذي يحمل الآن عثرات كثيرة ان أهم ما في الاسلام هو « التكليف » : هو ذروة الحياة وأساسها فاذا جاء من يريد اسقاط التكليف فهو انما يريد اخراجنا من المسؤولية الفردية . ان حق الله علينا التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ان المسلم مطالب بان يفهم أمره أولا ، ثم له ارادته الحرة والتزامه الأخلاقي وعليه جزاؤه الدنيوي والأخروي .

الشخصية المسلمة والقيم :

ان هناك محاولة لحمل المسلمين والعرب على قبول ذهنية الغرب والخروج من ذهنتهم ، وهناك شبهات وأهواء تحاول ان تشوه تاريخهم ومبادئهم وثقافتهم وانقص الدور الذي قاموا به في تاريخ البشرية وذلك في محاولة خلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين .

وانه اقع ان الغرب قد نقل علومنا في الماضي دون أن يعترف ديننا أو ثقافتنا ذلك أن هناك أمورا مشتركة عالمية كالعلم والمعرفة

وأن هناك أموراً خاصة بكل أمة مطبوعة بطابعها. هي الثقافة والأخلاق والآداب والأفواق ، وللعرب خلقهم وثقافتهم وآدابهم النابعة من دينهم وفكرهم وذاتيتهم وهي القيم التي قادتهم في الحياة خلال هذا المدى الطويل وحقت لهم النصر والتمكين في الأرض والقوة والمهابة في نظر غيرهم ، لذا فإن التخلي عن هذه القيم من شأنه أن يهدم شخصيتهم وأن يجعلهم مجردين من طابع أصيل أو شخصية واسعة بين الأمم . ولقد تختلط الطوابع بين الانجليز والفرنسيين والألمان والأمريكان ما يزال يبدو عسيراً ، لأن هناك جامعا يجمعهم من اصول دين وثقافة ولكن من العسير أن تختلط طوابع المسلمين والعرب مع الغرب وقد تشكلت هذه الطوابع بمنعزل عن هذه الأمم وانطلقت من منطلقات مختلفة بل ومتباينة أحيانا وان كان يجمعها جامع وحدّة البشرية الواسع الكبير .

الاسلام بين الفلاسفة وعلماء الكلام :

يؤخذ الاسلام من أصوله الأصيلة وليس من كلام الفلاسفة أو علماء الكلام أو غيرهم وليس من طبيعة الدراسة الصحيحة أن نفضل جماعة من هذه الجماعات لنقول انها تمثل وحدها الفكر الاسلامي ، فلا المعتزلة ولا أهل الكلام ولا الفلاسفة ولا المتصوفة ولا الفقهاء ، وكل منفصل : يمثل الاسلام وانما

الاسلام الصحيح هو ما جاء في القرآن وان حركة هذا الفكر كلها قد جرت في سبيل استيعاب ما صلح من الثقافات الغربية وصورها في اطار الاسلام وبوتقته ، ولقد كانت هناك قوى تحاول ان تلتصق من هذه المذاهب سبيلا وقد ذهبت وبقيت هذه المساجلات فنظرتنا اليها اليوم يجب ان تكون على انها مراحل داخل حركة الفكر الاسلامي توصلنا الى المفهوم الجامع الاصيل فاذا جاء من يقول لنا ان الاسلام عقلاني استمدادا من نحوس المعتزلة قلنا له ان هذا ليس صحيحا واذا جاء من يقول ان الاسلام فلسفي أو صوفي أو غير ذلك قلنا له مثل ذلك ، ونحن نعرف ولم المستشرقين بالاعتزال والفلسفة ونعرف انهم يحاولون تجديد هذه الدعوات الآن لتمزيق وحدة المسلمين والتأثير على اصالة فكرهم ، فالفكر الاسلامي لم يتأثر بالفكر اليوناني وانما اقام منهجه الاصيل المتحرر من كل تبعية ، وعرض عليه كل ما جاء من الخارج فأخذ منه وترك على قاعدته الاصيلية: « التوحيد » وفي هذا العصر لن يستطيع الفكر الغربي أن يسيطر على الفكر الاسلامي فان التجربة حاضرة ، والمفكرون المسلمون يقظون لمحاولات التعريب كاشفون لزيغها أولا بأول .

العلم والاخلاق وبناء الحضارة :

ما يزال مفهوم الاسلام في الالتزام الأخلاقي هو المظلة الواقية التي جنبت القيم الانسانية التمزق والتجزئة والانشطار.

هذا المفهوم القادر على أن يحمي البشرية من براثن التخبط والضياع التي وقعت بالفطن فريسة لها نتيجة لعزلها بين العلم والأخلاق فقد غاب عن بال الغرب أن العلم والأخلاق وجهان متلازمان بالضرورة للبناء الحضارى ، ذلك لأن العلم من غير أخلاقياته من شأنه أن يفتح الباب نحو الشر والباطل والظلم والاستعلاء والارادة الانسانية هي مناط المسؤولية والجزاء ، ولقد دعا الاسلام الى تربية الارادة حتى يكون الانسان قادرا على كبح الشهوات ومعارضة اتجاه الأهواء ، وقد رسم الاسلام ضوابط الارادة ودعا الى العناية بها فالانسان مسئول عن عمله ، له ماكتسب وعليه ما اكتسب ، وقد فرق الاسلام بين التوكل على الله مع العمل وبين التوكل ، فالمسلم يتوكل على الله ويكافح ، وهو مؤمن بقضاء الله اولا ، وان له ثمرة عمله ، وعليه أن يستعين بالانظام والمباكرة والتماس سنن الله في الحياة .

الاسلام هو الدين الاول :

الاسلام كما نص القرآن ليس بدين جديد ، ولكنه الدين الاول الذى أوحاه الله الى الأنبياء ، جاء من محمد صلى الله عليه وسلم ليصحح الخطأ الذى طرأ على الدين الحق وليكشف التحريف الذى أصاب الدآن الاول الذى هو الاسلام : رسالة الله الى البشرية منذ نوح عليه السلام .

ولذلك فقد جاء الاسلام وهو دعوة الله المتجددة لاقامة منهج

الله في الارض من جديد ، ومن هنا فقد قطع الاسلام الامتداد
الفكرى والثقافى بين ما قبل الاسلام وما بعده ، قطعه عن
العرب اولا ثم قطعه عن كل الامم والاقطار التي امتد اليها ،
فلم يلبث الاسلام بعد زمن قليل أن قطع امتداد الوثنية عن
العالم كله وألغى امتداد العبودية عن كل الأمم .

ومنذ جاء الاسلام كان فرقتنا بين الفكر الربانى المصدر وبين
الفكر البشرى ، فالفكر الربانى المصدر انسانى الطابع قائم على
الحق والخير والرحمة والاخوة الانسانية ، والفكر البشرى قائم
على الأهواء والمطامع والظلم والعدوان .

وما تزال البشرية تتأرجح بين الفكر الربانى والبشرى حتى
تعرف أنه ليس لها الا طريق واحد هو طريق الله : (وأن هذا
صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله)

قمة الدين :

ان المجاهدة بمعنى معارضة الأهواء والمطامع، والكظم بمعنى
تأجيل الرغبة هو قمة الدين وهو لا يقع تحت المخاطر الوهمية
التي اذاعها (فرويد) عن الكبت ، ذلك ان (الكبت) انما
يستمد معناه من انكار الرغبات أساسا واحتقارها وعدم

الاعتراف بها ، وهذا ما لا يدخل مطلقا في اطار الاسلام الذى يقوم على أساس الاعتراف بالرغبات النفسية والحسية اعترافا كاملا دون انكار لها ، وان كان يؤخر الممارسة لها الى أن تتحقق القدرة المادية . ان خطر الكبت الذى يعتقد الفرويدية انه يؤدي الى العصاب ليس هو تأجيل الرغبات ولكن هو انكارها واحتقارها على النحو الذى يعرفه مجتمع الغرب نتيجة بعض التفسيرات الدينية ، اما الاعتراف مع التأصيل فذلك مما تقبله الطبيعة البشرية دون أن تضاربه . ولقد هلت طويلا دعوات التربية الحديثة بان توجيه الاطفال وتأديبهم يؤدي الى كبت وكبت ، من الامراض ، ثم أثبتت التجارب التى أجريت بالاحياء أن ذلك محض وهم وان النفس الانسانية قابلة للتوجيه والتحذير والعقوبة دون أن يحدث ذلك عندها ما يسمى بمركبات النقص . ونحن نؤمن بأن صانع النفس الانسانية هو أقدر على فهمها ، وهو الحامى لها وان مارسه من مناهج واساليب تحذير وترغيب وترهيب انما هو دواؤها وانه متقبل منها وليس بشاق ولا خطير ، ولا له ضرر ما على النحو الذى تهول له الفلاسفات المادية .

الاسلام كيان قادر على الحياة :

لا ريب أن المفهوم الاسلامى قد تكامل تكاملا كلياً قبل أن ينتقل الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وقبل الاتصال بالفلسفة اليونانية بوقت طويل . وان فهم الاسلام فهما صحيحة عميقا قد أعطى الجماعة الاسلامية شحنة من القوة والايمان واقامة الدولة .

وان الاسلام حين أصابته الأحداث وفي ظل أخطار الصليبية والتتار والفرنجة ، فأضاف الى معتقيه أضعاف أصحابه الأوسليين .

ولقد كان من أبرز قوانين الاسلام قدرته الفائقة على تجديد نفسه من الداخل ، وعلى إعادة صياغة فكره كلما انحرف هذا الفكر او أصابته دخائل تحوله عن جوهره ، وانه كان دائماً كياناً حياً قادراً على الحياة والتجدد . قادراً على الاخذ والعطاء ، قادراً على التوسع والتكيف مع المجتمعات والصوره .

ومنذ ظهور الاسلام وكل حدث فى العالم ارتبط به على نحو من الانحاء ومنذ ان انتشر الاسلام الى اليوم لم يتغلب عليه متغلب وان تغلبت على أمته شدائد الأمم .

قاعدة الثبات وعنصر الحركة :

يوائم الاسلام بين روح الامة وروح العصر ، فلا يجعل روح العصر حكما على الناس حتى لا يذهبوا مع اهواء العصر كل مذهب ، وينفصلوا عن قيمهم الاساسية ودينهم الذي هو عصمة امرهم ، ذلك ان روح الامة هي قاعدة « الثبات » وان روح العصر هي « عنصر » الحركة . واذا كانت روح العصر هي مجموعة من التقاليد والاساليب التي تجارى التقدم والتطور والحركة فانها ليست منفصلة ولا معزولة عن اساسها المتين المستمد من روح الامة في عقيدتها واخلاقها وقيمها ولقد تتغير روح العصر آنا بعد آن ، وتجدد ، وتذهب تقاليدها مع التجربة والخطأ ، ولكن تبقى روح الأمة الأصلية اطارا يحفظ على الامة كيانها وشخصيتها ومظهرها ويجعلها قادرة على مواجهة الاحداث .

وان علينا ازاء هذه العبارات البراقة التي تدعوننا الى الحركة ان نكون قادرين على معرفة الفوارق الدقيقة بين الاشياء فلا تشبهه علينا ، لنفرق بين التقاليد المتغيرة والأخلاق الثابتة، ولنفرق بين العقيدة التي هي اصول خالدة وبين التاريخ الذي هو حركة البشر وفيه الصواب والخطأ والسداد والانحراف ، ولنفرق بين الأصل والوافد ، وبين الرواسب القديمة والروافد الجديدة .

عملية التغريب :

ان عملية التغريب قد فرضت نفسها على العالم الاسلامى
عن طريقين وبأسلوبين : أسلوب داخلى وأسلوب خارجى •
أما الأسلوب الداخلى فقد ازلت من المؤسسات الثقافية
العربية مناهج الاسلام وفرضت مناهجها واقامت ارسالياتها •

ومن هنا فقد حضرت فى يدها أمر التربية والتعليم وانشاء
الاجيال الجديدة وصياغتها على النحو الذى يجعلها غير قادرة
على حمل أمانة الأوطان والعقائد • وقد اهتدى التغريب فى هذا
يقول (أرازمس) :

« سلمنى ادارة مدرسة ردحا من الزمن اتعهد لك ان أقلب
وجه العالم بأسره » •

فلما صفت كل المفاهيم التى يقدمها الاسلام من عقلية
ونفسية وتاريخية طرحت المفاهيم والنظريات والمذاهب الغربية
المختلفة المتصاربة المتصارعة وقدمت على أنها « علم » وليس
على انها « فلسفة » وعلى أنها حقائق وليس على انها فروض
تقبل الصح والخطأ ، ولم يقدم خلياتها فى بلادها ولم يقدم
نتائجها وكلها تؤكد الفشل والاضطراب فى أرضها الأولى فكيف
بأرضى أخرى لها قيمها وذاتيتها ومزاجها النفسى •

فلما خرج الاستعمار العسكرى من العالم الاسلامى كان قد أقام ركائز وأصبح له رجاله وأعوانه ودعاته الذين لم تنقطع الصلة بينه وبينهم فان أعظم الروابط ما زال هو « التبادل الثقافى » وهو تبادل من جانب واحد .

والحق ان تجربة التربية فى العالم الاسلامى فى حاجة الى دراسة واسعة لأنها أخطر ما واجه المسلمين وكان له أبعد الأثر فى الأزمة الكبرى .

أبرز سنن الاسلام :

كان من أبرز سنن الاسلام ظهور المصلحين والمجددين الذين يلتمسون منهج الاسلام الأصيل ويردون الأمم اليه كلما انحرفت عنه ، بتصحيح المفاهيم وتحرير القيم والكشف عن الزيف والشبهات ، فالفكرة الاسلامية الخالدة تتجدد بالنوابغ والاعلام على رأس كل مائة سنة ، ولا تمر فترة دون ان يظهر الانسان الممتاز المصلح الذى يعارض التيار المنحرف ويصدع بالحق ، ولقد عرف الاسلام فى خلال تاريخه الطويل نماذج متعددة متصلة من أولئك الأبرار الذين حرروا الأمة من الفتن والبدع والمؤامرات والتحريفات ، والذين وقفوا مواقف مجيدة نصحوا فيها الله ورسوله وقدموا الكلمة التى امروا بها من أجل التواصل

بالحق والتواصى بالصبر ، ووجهوا وأرشدوا ، ولم يخشوا
سطوة الظالمين والطغاة •

من أمثال أبى حنيفة ومالك وابن حنبل وابن تيمته ، وغيرهم
من العلماء والزهاد والفقهاء ، ومنهم الذين انسحبوا من
مظاهر الحياة ومراسيم الحكم صيانة لحق الله ، وحتى لا يكونوا
علامة على قبول الظلم والفساد •

اليهودية التلمودية والفكر الغريب :

من الفكر التي يجليها القرآن في أوضح صورته : فكرة تلك
الجماعة التي فرضت على البشرية فكرا مضادا للفكر الربانى
المنزل من السماء ، فقد شكلت هذه الجماعة محتوى ومفهوما
وفلسفة كاملة وقد جاءت الرسل والرسالات تترى لتصحيح
هذا المفهوم • ثم كان هناك الحق والباطل ، « فأما الزيد فيذهب
جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » •

وما زال الصراع قائما ومستمرا وسيظل ، وفي القرون
الأخيرة امتد الفكر البشرى واستشرى أثره وحاول السيطرة
على الانسانية لولا صمود الفكر الربانى بأيدى حملته من
المسلمين •

تلك هي المحاولة التي تقوم بها اليهودية التلمودية وهي تجر العالم كله الى نطاق الفكرة البشرية المعارضة للتوحيد والافترة ودعوة السماء وهي محاولة لاختضاع العالم للقاعدة الربوية :
« عالمية الربا » •

لقد فرضت اليهودية التلمودية نفوذها ثم جاء الاسلام ماحيا لها دافعا لوجودها محققا اقامة « أمة الحق في الأرض » ثم مضت التلمودية اليهودية تسيطر على الفكر الغربي كله وتحتوية وقد انقاد لها هذا الفكر • ولكنها اليوم وهي تحاول أن تخوض مخاضة النطاق الاسلامي فانها سوف تعجز وسوف تتحطم مذاهبها وايدولوجياتها على قاعدة التوحيد وفي ضوء الحق والعدل الالهيين •

• وسوف لا تستطيع احتواء الاسلام مهما حاولت •

ان هذه لأمة التي وصفها الله سبحانه وتعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس سوف تصمد في وجه الباطل حتى تجثته وتدمره •

لم يعرض الاسلام القواعد والحلول مسبقا ولم يطبقها بالقسر والاكراه بل تفاعل مع طبيعة الانسان وطبيعة المجتمع ، ف جاء منها واقعا استوعب الحياة والأحداث. وشارك في توجيهها حتى اكتملت رسالته وتمت كلمته •

وكان الاجتهاد علامة من علامات النمو والحركة ، إذ كان قادرا على فتح الطريق بين الحضارات والأمم الى أصالة الاسلام ، حيث يلتقى بكل تطور حادث ويستطيع ايجاد الحلول لكل قضية تحدث مع تغير الزمن واختلاف البيئة .

ولقد أقام الاسلام حضارته وبنى مجتمعه على أساس التكوين الفردي ، واعتبره أساس التقدم وقرران الرقابة لا تأتي من فرد على فرد ، ولا من هيئة على هيئة وانما هي رقابة المسلم لربه وكذلك أعطى الاسلام للبشرية اجابات واضحة وكاملة عن معضلاته التي يواجهها بالعدل الاجتماعي والاخاء الانساني والرحمة واحقاق الحق ، واستجاب للتغيير الاجتماعي والتقدم على طريق النهضة في سبيل الوصول الى الغايات الكبرى : الوحدة البشرية وهدم العنصرية .

أزمة الحضارة الغربية :

هل مازالت الحضارة الغربية بعد تجربتها الطويلة قادرة على اعطاء البشرية حاجتها الحققة ، بل هل هي قادرة على حل أزمتها الحانقة قبل أن تعطى ؟

لقد استطاعت أن تعطى في مجال المادة ولكنها عجزت عن العطاء في مجال النفس وكان أكبر أزمتها حين فصلت بين المادة

والروح والنفس والعقل ، والعلم والدين والأخلاق والسياسة
والعقيدة والمجتمع •

وكانت باللغة الخطأ في اعلاء العنصر ، والقول بأن فترها
هو فكر العالم وحضارتها هي حضارة العالم وتاريخها وحده
هو تاريخ العالم وان منهج أوربا وفكرها يجب أن يسود فيكون
قانونا عاما تخضع له البشرية •

ثم جاء من يقول انه ليس هناك فارقا من الشرق والغرب ،
وكان ذلك كله محاولة لاحتواء الحضارات والأمم والقضاء
عليها ، متجاهلة أن الأمم كونتها ثقافات وعقائد وجعلت لها
خصائص مميزة ، وأنه من المستحيل أن تتصهر في بوتقة
العالمية أو الأممية •

ان الحضارة الغربية الحديثة بعد أن تركت الدين حين عجز
عن اعطائها حق الجمع بين العقل والروح ، واكتفت بمنجزات
العلم ، وحاولت أن تقيم لها منهجا على أساس الفكر المادى ،
كل ذلك ذهب بها بعيدا عن الفطرة وعن الاصلالة وساقها الى
انحراف خطير تواجهه الآن في صور متعددة من التحلل
والانحراف والاباحة ••

ان الغرب نسي أنه لا بد من أساس ثابت تبدأ منه الحركة

وتنتهى عنده ، وان هذا الاساس لابد أن يكون من أصل أصيل
ليس من عند الانهسان ولا من صنعه •

هناك حرص واضح من الاسلام في الفصل بين الفكر البشرى
والفكر الربانى المنزل بالحق على الرسل والأنبياء ، وخاصة
في صورته النهائية الخاتمة « الاسلام » فليس الاسلام شبيها
يقارن بأى فلسفة أو مذهب أو ايدولوجية وليس من حق أحد
أن يضعه موضع المقارنة مع الفكر البشرى ولذلك فمن الخطر
النظر اليه والى الفلسفات نظرة المفاضلة أو المقارنة •

ولقد جاءت البيّنات للبشرية من رسالات السماء أساسا
فانحرف البعض عنها تحت سلطان العقل ومحاولة الانسان في
التأويل والتفسير •

ومن هنا افترق الفكر الربانى عن الفكر البشرى ، وظل
الفكر الربانى المستمد من رسالات السماء يحمل طابع التوحيد
والعدل والحق بينما ذهبت الفلسفات مذهبها وراء الاهواء
والمطامح •

وسوف تجد البشرية نفسها بعد المعارضة الشديدة عائدة
مرة أخرى الى المورد الأصيل لأنها فشلت في عشرات التجارب
والوسائط •

لقد كشفت الدراسات التي أجريت حول أزمات الأمم والشعوب أن التقدم في مجال العلم والثقافة ليس عوضاً عن التربية وليس بديلاً عن التهذيب الخلقى ، ذلك لأن العلم سلاح له حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير ولا بد من أجل استعماله استعمالاً صحيحاً أن يتم ذلك في إطار الاخلاق .

ومن أجل ذلك جمع الإسلام الى العلم والثقافة : التربية حيث ربط التعلم بالخلق ، وجمع بين العلم والايمان ، وأقام منهجه على تقوى الله ، فلا بد في الإسلام من بناء العقل وبناء الوجدان معا ، وعلى العلم أن يكون وسيلة الى العمل النافع في إطار الرحمة والخلق .

ومن ناحية أخرى فإن التقدم العلمي والتكنولوجي لا يتعارض مع الإسلام ولا يعنى عنه ، انه نمو في الجانب المادى . لا بد له من ضوابط من العقيدة والشريعة والاخلاق .

وقد تأكد منذ وقت بعيد أن العلوم العصرية لا تفيد المسلمين الا اذا اقترنت بتربيتهم الدينية وثقافتهم الأساسية وسارت جنباً الى جنب مع أوضاعهم وعقائدهم وان تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية اذا تم خارج دائرة قيمهم يزيدهم انحطاطاً وفساد أخلاق فلا تنفعهم العلوم الا اذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم وقيمهم الأساسية .

وبعد ...

فان هذه الأحاديث الموجزة انما هي بمثابة « مفاتيح » لفهم
كثير من الأمور التي تحاول شبهات التغريب أن تزيف صحيحها
وان تقدمها للمسلمين في صورة أخرى غير اسلامية ولا ربانية.

فاذا أردت يا أخى المسلم التوسع في ذلك فان هناك
الموسوعات التي تحمل التفاصيل وتوسع في الايضاح .

هذا وبالله التوفيق

مطبع الاحرام التجارية
رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٤ / ٥٦٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكَا فِطُونَ

يسر

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يقدم للعالم الإسلامي

المصحف المجدول

الأول مرة يتم تسجيل كامل للقرآن الكريم مجوداً بأصوات كبار القراء



الشيخ
نعمود على البينا



الشيخ
نعمود خليل المحزون



الشيخ
عبد الباسط عبد الصمد



الشيخ
مصطفى اسماعيل



القاهرة : طابعت القرآن نزل ٧٦ شارع جمهورية الدردانا
الاسكندرية : فرع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ٤٢ شارع سعد نخل العزاز

التمن ٧ قروش